بلاغة الخطاب الحجاجي في القرآن الكريم الاستعارة التمثيلية "نموذجا"

الدكتورة

آلاء عبد الغفار هلال

مدرس البلاغة و النقد الأدبي ـ كلية البنات- جامعة عين شمس
جمهورية مصر العربية

العدد الرابع والعشرون

للعام ١٤٤٢هـ / ٢٠٢٠م

الجزء الثالث عشر

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠٢٠م

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

بسم الله الرحمن الرحيم

بلاغة الخطاب الحجاجي في القرآن الكريم الاستعارة التمثيلية "نموذجا"

آلاء عبد الغفار هلال

مدرس البلاغة و النقد الأدبي ـ كلية البنات- جامعة عين شمس ـ جمهورية مصر العربية

البريد الإلكتروني: Alaa.hamed.helal@yahoo.com

الملخص

عُني هذا البحث بالكشف عن الطاقات الحجاجية الإقناعية للصورة الاستعارية التمثيلية في الخطاب القرآني، إذ عُنيت البلاغة الجديدة (نظرية "البرهان" Argumentation بفحص الأشكال البلاغية، ودراستها؛ بوصفها وسائل إقناعية. لا تنحصر وظيفتها في الجانب الجمالي، وإنما تتعدى ذلك؛ لتؤدي دورًا حجاجيًا إقناعيًا. وقد رصد البحث أكثر من سبعين استعارة تمثيلية؛ وُظِفت في مجرى الخطاب الحجاجي القرآني؛ بغرض تحقيق عنصري"الإقناع" و"التأثير" في نفوس المخاطبين المُحَاجَجِين، مما يحدث تغييرًا في معتقداتهم، وأفكارهم، وسلوكهم.

ومن أهم النتائج التي توصل إليها البحث:

– وُظِفت آلية البناء الاستعاري التمثيلي في حجاج المؤمنين؛ بغرض التعبير عن عدد من المقاصد الحجاجية التي أسهمت في تدعيم الحجاجية الكلية للخطاب، ومنها: الحث على الإنفاق في سبيل الله، و الإحسان إلى الوالدين، والتحذير من عداوة إبليس.

– أورد الخطاب القرآني تقنية "الاستعارة التمثيلية" في مجرى حجاج الكافرين؛ لإفادة عدد من المقاصد الحجاجية، ومنها: إبطال عبادة الأصنام، وتصوير عظمة القدرة الإلهية، وإظهار عجز الكافرين عن القضاء على الإسلام.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

– وُظِفت آلية الاستعارة التمثيلية في حجاج إبليس؛ بغرض التعبير عن مقصدين حجاجيين؛ تهديده بما سيناله من عقاب، هو ومن يتبعه، وإظهار عجزه عن إغواء عباد الله المؤمنين.

– دعّم الخطاب القرآني القوة الحجاجية الإقناعية للصورة الاستعارية التمثيلية من خلال توظيف عدد من الآليات اللغوية والبلاغية المتمثلة في: آلية النعت، وآلية الاستفهام البلاغي، وآلية التأكيد بالقسم، ونون التوكيد، و القصر، وآليتي الأمر والنداء البلاغيتين، وآلية التفصيل بعد الإجمال، وخروج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر.

الكلمات المفتاحية : الحجاج – الاستعارة والحجاج – الاستعارة التمثيلية.

The rhetorical argumentative discourse in the Holy Qur'an: Representative metaphor

Alaa Abdel Ghaffar Hilal
Lecturer of Rhetoric and Literary Criticism - Girls' College - Ain Shams University - Arab Republic of Egypt
Email: Alaa.hamed.helal@yahoo.com

Abstract

This research paper aims to explore the argumentative persuasive power of the qur'anic representative metaphors. It tackles the "Argumentative theory" as a theoretical framework upon which these metaphors are analyzed and presented as a persuasive method in the qur'anic discourse.

This research investigates more than 70 representative metaphors which aim to persuade the readers and to have a direct impact on them. Thus, these metaphors can change the reader's minds, believes, ideas, and behaviors.

Moreover, this paper proves that the figurative method which is used in the discourse of the holy qur'an helps the believers to spend in the cause of Allah, to be kind to their parents, and not to worship false idols. In addition, it warns them of Satan. It also illustrates how non-believers are weak and shows the greatness of Allah.

The quranic discourse supports the persuasive power of the representative metaphor by using rhetorical questions, rhetorical appeal, affirmation, informative and descriptive details.

Keywords: Representative metaphor, metaphor and persuasion, persuasion

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

يُعنى هذا البحث بالكشف عن الأبعاد الحجاجية الإقناعية للصورة الاستعارية التمثيلية في الخطاب القرآني، إذ عُنيت البلاغة الجديدة[١](نظرية "البرهان"Argumentation) بفحص الأشكال البلاغية، ودراستها؛ بوصفها وسائل إقناعية، يوظفها المتكلم (المُحَاجِج) في خطابه؛ بغرض إثارة التأييد في نفوس المخاطبين المُحاجَجين- للفروض التي تقدم لهم، أو تعزيز هذا التأييد وتدعيمه[٢]. وقد عمد الخطاب القرآني إلى توظيف عدد من التقنيات البلاغية الحجاجية، ومنها: تقنية "الاستعارة التمثيلية"؛ بغرض تحقيق عنصري "الإقناع" و"التأثير" في نفوس المخاطبين، مما يحدث تغييرًا في معتقداتهم، وأفكارهم، وسلوكهم. ولعل هذا ما دفعني إلى اختيار هذا الموضوع، فضلا عن:

-الإسهام بدراسة بلاغية تطبيقية، تكشف عن الوظيفة الحجاجية للصورة الاستعارية التمثيلية في الخطاب القرآني.

---

(١) وُلد مصطلح البلاغة الجديدة عام ١٩٥٨-في عنوان أحد الكتب الشهيرة التي وضعها المفكر البلجيكي شاييم بيريلمان (Ch. Perelman) ولوسي أولبرشتس تيتيكاه Tyteca تحت اسم (مقال في البرهان:البلاغة الجديدة) ، ويعتمد هذا الكتاب على محاولة تاسيس البرهان أو المحاجة الاستدلالية ، بوصفها تقنية خاصة ، ومتميزة لدراسة المنطق التشريعي و القضائي، وامتداده إلى بقية مجالات الخطاب المعاصر. وقد أُعيد طبع هذا الكتاب عدة مرات؛ أعوام ١٩٩٢، ١٩٨٨، ١٩٧٦، ١٩٧٠. انظر د/صلاح فضل. بلاغة الخطاب وعلم النص. سلسلة عالم المعرفة. تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون و الآداب بالكويت. أغسطس ١٩٩٢. ص(٦٥) . ود/عبدالله صولة. في نظرية الحجاج :دراسات وتطبيقات. ط(١) الشركة التونسية للنشر ٢٠١١. ص(١١) .

(٢) د/صلاح فضل. بلاغة الخطاب وعلم النص. ص(٦٧) .

-الكشف عن المقاصد الحجاجية التي دعّمتها الصورة الاستعارية التمثيلية داخل الخطاب القرآني، والتي أسهمت- بدورها- في تدعيم الحجاجية الكليّة للخطاب.

-ما لاحظته من حجاجية التصوير الاستعاري التمثيلي؛ إذ ينقل المعنى المدرك بالعقل إلى مشهد حسي ملموس، حتى يتصوره المخاطبون أمام أعينهم، مما يزيد من درجة الإقناع و التسليم و التصديق في نفوسهم.

-لاحظت أن الدراسات الحجاجية المعاصرة وضعت "الاستعارة" في أعلى درجات السلّم الحجاجي [١]الموصل إلى الإقناع ، بالمقارنة مع الأقوال العادية أو الحقيقية[٢]. فرأيت أن الصورة الاستعارية التمثيلية أقوى حجاجيًا في التعبيرعن القصد أو الغرض- من الصورة الاستعارية الإفرادية؛ إذ تجذب انتباه المخاطب، حين تربط بين حالين أوهيئتين متباعدتين مختلفتين، منتزعتين من عدة أمور، فتدفعه إلى التأمل وإعمال الفكروبذل الجهد الذهني في سبيل الوصول إلى الرابط أو الجامع بين طرفيها المتباعدين؛

---

(١) السلّم الحجاجي هو علاقة ترتيبية للحجج ، يمكن أن نرمز لها بالشكل التالي:

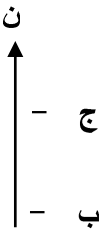

(ن : النتيجة)

(ب، ج: قولان أو حجتان)

ـــ كل قول يرد في درجة ما من درجات السلّم، يكون القول الذي يعلوه دليلا أقوى منه بالنسبة ل (ن) ، وإذا كان القول(ب) يؤدي إلى النتيجة(ن) فهذا يستلزم أن (ج) الذي يعلوه درجة يؤدي إليها، والعكس غير صحيح. انظر د/أبو بكر العزاوي. اللغة و الحجاج. ط(١) العمدة- الدار البيضاء٢٠٠٦. ص(١٠١-١٠٢) .

(٢) السابق. ص(١٠٠-١٠٥) .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

الموضوع (المشبه)المحذوف، والحامل (المشبه به) المصرّح به، مما يسهم في إثارة تأييد المخاطب (المُحَاجَج) للفكرة المطروحة، و تثبيتها في نفسه.

-كما لاحظت أن الخطاب القرآني عمد إلى توظيف عدد من الآليات اللغوية و البلاغية؛ لتدعيم القوة الحجاجية الإقناعية للصورة الاستعارية التمثيلية، مثل: النعت، والتأكيد، والاستفهام، والأمر، والنداء، والتفصيل بعد الإجمال، مما أسهم في زيادة حدة الإذعان في نفوس المخاطبين.

وقد اخترت الخطاب القرآني؛ بوصفه خطابًا حجاجيًّا؛ إذ يعمد إلى طرح الحجج، وإيراد البراهين و الأدلة العقلية و الكونية و الفطرية المؤيدة لكلامه؛ فيحمل كل ذي عقل على التسليم و الإذعان و التصديق. وقد جاء توظيف الخطاب القرآني للحجاج؛ بوصفه بديلا عن العنف في نظرية البرهان أو الحجاج؛ ذلك أن الإقناع يكون باعتماد إحدى وسيلتين – بحسب رؤية بيريلمان و تيتيكاه– العنف أو الخطاب(١)، فاختار القرآن وسيلة الخطاب و الحوار العقلي؛ بغرض نبذ العنف و الإكراه في شأن الإيمان، ويظهر هذا في آيات كثيرة، منها: قوله عزوجل: { وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ}(سورة

(١) يقول بيريلمان و تيتيكاه:" إن الحجاج غير المُلزم، وغير الاعتباطي هو وحده القمين بأن يحقق الحرية الإنسانية من حيث هي ممارسة لاختيارعاقل، فأن تكون الحرية تسليمًا اضطراريًا(إلزاميًا) بنظام طبيعي معطى سلفًا –معناه انعدام كل إمكان للاختيار. فإذا لم تكن ممارسة الحرية منبنية على العقل، فإن كل اختيار يكون ضربًا من الخور، و يستحيل إلى حكم اعتباطي يسبح في فراغ فكري" د/ عبد الله صولة. الحجاج:أطره و منطلقاته وتقنياته من خلال"مصنف في الحجاج– البلاغة الجديدة) لبريليمان و تيتيكاه. ضمن كتاب (أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم) إشراف حمادي صمود. منشورات كلية الآداب بتونس. (د. ت) . ص(٣٠١) .

يونس: ٩٩)، وقوله سبحانه و تعالى: { فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ }(سورة الغاشية: ٢١-٢٢)، وقوله جلّ شأنه: { لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ }(سورة البقرة: ٢٥٦).

<u>ويهدف البحث إلى الإجابة عن التساؤلات البحثية الآتية:</u>

-هل أدت الصورة الاستعارية التمثيلية في الخطاب القرآني وظيفة جمالية إمتاعية فحسب أو أنها تعدّت ذلك؛ لتؤدي دورًا حجاجيًا إقناعيًّا؟

-هل وظف الخطاب القرآني آلية "الاستعارة التمثيلية" في حجاج فئة محددة من المخاطبين، أو أنه وظفها في حجاج جميع الفئات المستهدفة من الخطاب؟

-ما المقاصد الحجاجية التي دعّمتها الصورة الاستعارية التمثيلية في الخطاب القرآني؟

-ما الآليات اللغوية و البلاغية التي وظفها الخطاب القرآني؛ لتدعيم القوة الحجاجية الإقناعية للصورة الاستعارية التمثيلية؟

-منهج البحث:

اتبعت في هذا البحث المنهج الوصفي، وذلك في ضوء التحليل البلاغي الحجاجي لنماذج من الصور الاستعارية التمثيلية الواردة في الخطاب القرآني، بغرض الكشف عن دورها الحجاجي و طاقاتها الإقناعية التأثيرية.

-خطة البحث:

<u>يمضي هذا البحث في مقدمة و مدخل ومبحثين وخاتمة.</u>

-المقدمة: عرّفت فيها بموضوع البحث، وأسباب اختياره، وأهدافه، ومنهجه، وخطته.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

-**المدخل**: حدّدت فيه مفهوم الحجاج لغة واصطلاحًا، ثم بيّنت العلاقة بين الاستعارة و الحجاج؛ بوصفها تقنية بلاغية حجاجية، تسهم في تحقيق الإقناع. وأخيرًا تحدثت عن مفهوم الاستعارة التمثيلية، وقوتها الحجاجية الإقناعية.

-**المبحث الأول**: حجاج المؤمنين.

-**المبحث الثاني**: حجاج الكافرين.

-**الخاتمة**: وفيها بيان بأبرز ما توصلت إليه الدراسة، وتوصياتها.

-قائمة المصادر و المراجع.

-مدخل:

-مفهوم الحجاج Argumentation

–في اللغة: يقول ابن منظور(ت ٧١١هـ): "حاججته أحاجُّه حِجاجًا ومحاجَة حتى حججته أي غلبته بالحجج التي أدليت بها. . . ، و الحجّة: البرهان، وقيل: الحجة ما دوفع به الخصم . . . ، وهو رجل محجاج أي جَدِل، و التحّاج: التخاصم، و جمع الحجة: حجج و حجاج. . . ، وقال الأزهري: إنما سميت حجة؛ لأنها تحجّ أي تُقصد؛ لأن القصد لها وإليها[١]". ويقول الزمخشري(ت ٥٣٨هـ): "احتجّ على خصمه بحجة شهباء، و بحجج شُهْب، وحاجه خصمه فحجّه، وفلان خصمه محجوج، وكانت بينهما مُحَاجّة وحجاج"[٢]. وعرّف الشريف الجرجاني(ت ٨١٦هـ) الحجة بقوله: " الحجة ما دل به على صحة الدعوى، وقيل: الحجة و الدليل واحد[٣]"

ويتبين–في ضوء هذه التحديدات اللغوية–أن مفهوم صيغة "حجاج" يدور حول معاني؛ القصد والبرهان، والخصام، والتنازع، والجدال، والغلبة بالحجة.

- فى الاصطلاح:

عرّف بيريلمان (Ch. Perelman)، و تيتيكاه (Tyteca)– في كتابهما: مقال في البرهان، البلاغة الجديدة (The New rhetoric)[٤]

---

(١) ابن منظور. لسان العرب. مادة حَاجّ. ط دار صادر. بيروت.

(٢) الزمخشري. أساس البلاغة. تحقيق محمد باسل عيون السود. ط دار الكتب العلمية. بيروت. ط(١) ١٩٩٨. ١/ ص(١٦٩) .

(٣) علي بن محمد الجرجاني. التعريفات. ص(٨٢). ط(١) دار الكتب العلمية. بيروت. ١٩٨٣.

(4)Perelman and L. Olbrechts tyteca :the New rhetoric "Treatise Argumentation" Trans by Wilkinson and Purcell weaver university of Noter dame Press 1971.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

"الحجاج "، بوصفه" جملة من الأساليب تضطلع في الخطاب بوظيفة تحفز المتلقي على الاقتناع بما نعرضه عليه أو الزيادة في حجم هذا الاقتناع؛ ذلك أن غاية الحجاج الأساسية إنما هي الفعل في المتلقي على نحو يهيئه للقيام بالعمل المطلوب، أو الإمساك عنه. (١)"

وعرّفه ديكرو وأوسكومبر في كتابهما (الحجاج في اللغة)-بأنه" كل قول يحتوي على فعل إقناعي؛ فإن تتكلم يعني أنك تحاجج(كل قول= حجاج)، ولا وجود لكلام دون شحنة حجاجية(٢)"

كما عرّفه الباحث المغربي طه عبد الرحمن بأنه" كل منطوق به موجه إلى الغير؛ لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها"(٣). وعرّفه

---

(١) سامية الدريدي. الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة، بنيته و أساليبه. ص(٢١) . ط(١) عالم الكتب الحديث- الأردن ٢٠٠٨.

(٢) حدد أزوالد ديكرو، وجون- كلود أنسكومبر في كتابهما (الحجاج في اللغة) نظرية "الحجاج" بوصفها نظرية دلالية"تسعى إلى اكتشاف منطق اللغة أي القواعد الداخلية للخطاب، والمتحكمة في تسلسل الأقوال وتتابعها بشكل متنام وتدريجي، يكون بعضها بمثابة الحجج والأدلة ، و يكون بعضها الآخر بمثابة النتائج التي تستخلص من هذه الحجج، والخطاب- كما هو معلوم-مجموعة من الأقوال و الجمل ومجموعة من العلائق الدلالية المنطقية القائمة بينها(التعليل و الاستنتاج و الشرط. . .) ، ومجموع هذه العلائق هو ما يكوّن البنية المنطقية الاستدلالية للنص أو البنية الحجاجية، وهو ما يسمى عادة بمنطق الخطاب. "وقد حدد ديكرو عددًا من الآليات اللغوية لتحليل الخطاب الحجاجي، منها: الروابط و العوامل الحجاجية و السُّلم الحجاجي. انظر د. أبو بكر العزاوي. الترجمة و الحجاج. مقال منشور ضمن كتاب(الحجاج بين النظرية و التطبيق) -ص(١٧) . ط(١) عالم الكتب الحديث- إربد(الأردن) ٢٠٢٠. ود. مثنى كاظم صادق. أسلوبية الحجاج التداولي و البلاغي. ص(٢٢) . ط(١) ٢٠١٥، دار كلمة للنشر- تونس.

(٣) طه عبد الرحمن. اللسان و الميزان. ص(٢٢٦) . ط(١) المركز الثقافي العربي- الدار البيضاء ١٩٨٨.

الدكتور محمد العبد بأنه "جنس خاص من الخطاب يبنى على قضية أو فرضية خلافية، يعرض فيها المتكلم دعواه مدعومة بالتبريرات، عبر سلسلة من الأقوال المترابطة ترابطًا منطقيًا قاصدًا إلى إقناع الآخر بصدق دعواه و التأثير في موقفه أو سلوكه تجاه تلك القضية[١]"، وهذا مما يتفق مع رؤية بيريلمان أن أي حجاج يهدف إلى تغيير القناعات العقلية للجمهور المتلقي[٢].

وبذلك يتحدد مفهوم" الحجاج" بوصفه آلية لغوية حوارية يوظفها المتكلم (المُحَاجِج)في خطابه؛ بغرض التأثير في المخاطب(المُحَاجَج)بإقناعه وإحداث تغيير في معتقداته وأفكاره و سلوكه. مستعينًا في سبيل ذلك بعدد من الآليات و التقنيات الخطابية.

- الاستعارة و الحجاج

عُنيت البلاغة الجديدة(نظرية البرهان) بفحص تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تحقق إذعان العقول. ومن هذه التقنيات تقنية "الاستعارة" التي يوظفها المتكلم (المُحاجِج) في خطابه؛ بغرض التأثير في المخاطب(المُحاجَج) بإحداث تغيير في معتقداته وأفكاره و سلوكه، وإقناعه بما يُعرض عليه من قضايا وآراء. فتندرج الاستعارة ضمن الأشكال البلاغية الحجاجية أو البرهانية القائمة على أسلوب الاستدلال القياسي، إذ يحصل المعنى المقصود من خلال التفاعل الناتج عن الربط بين طرفي الصورة الاستعارية؛ الموضوع(المقيس)و الحامل(المقيس عليه)، فتكون الاستعارة- كما رأى

(١) د/محمد العبد. النص الحجاجي العربي، دراسة في وسائل الإقناع. مقال منشور بمجلة فصول، العدد (٦٠) – القاهرة ٢٠٠٢.

(2) Perelman . The Idea of justice and the problem of argument- Routledge and Kegan paal ,New York , published 1963 . p. 155.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ريتشاردزRichards-"جمعًا لفكرتين مختلفتين تعملان معًا وتسندان إلي كلمة واحدة أو عبارة واحدة يكون حاصل معناها ناتجًا عن تفاعل هاتين الفكرتين[١]"، ومن ثم يحصل الاقتناع و التصديق في نفوس المخاطبين.

قسّم أرسطو الاستعارة إلى ثلاثة أنماط ، بحسب الهدف المراد من توظيفها داخل الخطاب:

- **النمط الأول**: الاستعارة الجمهورية، تهدف إلى الإبلاغ أو الإخبار.
- **النمط الثاني**: الاستعارة الشعرية، تهدف إلى الإمتاع.
- **النمط الثالث**: الاستعارة الحجاجية، تهدف إلى إحداث تغيير في الموقف العاطفي أو الفكري للمتلقي[٢].

ومن هنا يتضح المظهر الحجاجي للاستعارة في قدرتها على إحداث تغيير في مواقف المخاطبين العاطفية أو الفكرية، فتعمل على استدراجهم بشكل غير مباشر إلى حقل المتكلم، وإثارة انتباههم لما يقوله، وما يريد الوصول إليه ، و بالتالي تدمجهم في التفاعل الذي ينشده الحجاج. [٣]

أسس عبد القاهر الجرجاني(ت٤٧١هـ)الاستعارة الحجاجية في البلاغة العربية – بوصفها طريقة من طرائق إثبات المعنى بالادعاء، فالاستعارة عنده ادعاء معنى الاسم للشيء، فإذا قال القائل (رأيت أسدًا) ادّعى أنه أسد بالحقيقة، ومعنى قولنا: أنه استُعير له اسم الأسد، إشارة إلى أنه استُعير

---

(١) د/كمال الزماني. حجاجية الصورة في الخطابة السياسية لدى الإمام علي . ط (١) إربد- الأردن- عالم الكتب الحديث للنشر٢٠١٢. ص(٤٨) .

(٢) انظر د/يوسف أبو العدوس. التشبيه و الاستعارة، منظور مستأنف. ص(١٣٣) ط (١) ٢٠٠٧دار المسيرة للنشر و التوزيع. عمّان- الأردن.

(٣) انظر د/عبد السلام عشير. عندما نتواصل نغيِّر. مقاربة تداولية لآليات التواصل و الحجاج. ط دار إفريقيا الشرق- الدار البيضاء- المغرب. ٢٠٠٦ ص(١٢٣) .

له معناه، فكان غرضه أن يثبت للرجل أنه مساوٍ للأسد في شجاعته وجرأته وشدة بطشه وإقدامه، وفي أن الذعر لا يُخامره، و الخوف لا يَعْرض لـــه[١]. فتكون الاستعارة وسيلة لإثبات المعنى الحجاجي وتأكيده. فالادعـــاء "فعـــل حجاجي يقوي من ثبات الصفة في البناء الاستعاري بهدف تأكيـــد المعنـــى الحجاجي"[٢]، وبذلك كان عبد القاهر" أول من استخدم آليات حجاجية لوصف الاستعارة، فأدخل مفهوم "الادعاء" بمقتضياته التداوليـــة الثلاثـــة: التقريـــر والتحقيق والتدليل، ناقلا المعنى الاستعاري من مرتبة الدلالة المجردة إلـــى مرتبة التداول التي تتوخى مقتضيات مقام الكلام[٣]. "

يتسم القول الاستعاري بسمتين أساسيتين؛ السمة الأولى تتمثل في أنه "قول حواري، وحواريته صفة ذاتية فيه. والسمة الثانية تتحدد في أنه قـــول حجاجي وحجاجيته من الصنف التفاعلي الذي نخصه باســـم" التحـــاج"وهو مرتبة ثالثة من الاستدلال بعد البرهان و الحجاج"[٤]. فـــالمتكلم (المحـــاجِج) يوظف الاستعارة في خطابه بوصفها آلية تواصلية إقناعية، يستدل بها على صحة الدعوى المطروحة.

وبذلك لم تعد وظيفة الاستعارة- في ضـــوء البلاغـــة الجديدة(بلاغـــة البرهان)- تنحصر في تحسين النص أو زخرفته و تجميله، فقد تعدت ذلـــك لتصبح ذات بعد حجاجي ، إذ يستغلها المتكلم في خطابه بغرض التأثير فـــي

---

(١) انظر عبد القاهر الجرجاني. دلائل الإعجاز. ص(٤٣٤-٤٣٧) .

(٢) هاني يوسف ابو غليون. الحجاج في النص القرآني. ســـور الحـــواميم نموذجًـــا. رســـالة ماجستير- جامعة مؤتة- الأردن ٢٠١٨ص(١٠٤) .

(٣) انظر د/ طه عبد الرحمن. اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي. ط (١) ١٩٨٨ -المركـــز الثقافي العربي- الدار البيضاء-ص(٣٠٦ - ٣١٣)

(٤) السابق. ص(٣١٠) .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

المخاطب ، وحمله على الإذعان و التصديق. وهذا ما دفع بيرلمان و تيتيكا إلى القول بأن "أي تصور للاستعارة لا يلقي الضوء على أهميتها في الحجاج لا يمكن أن يحظى بقبولنا . . . فلا يمكن تحليل الاستعارة حجاجيًا إلا بوصفها تمثيل تكثّف فهو موجز، ووجه الكثافة فيه، و الإيجاز الاندماج الحاصل بين أحد عناصر الموضوع(المشبه)، و أحد عناصر الحامل(المشبه به)، اندماجًا لا يمكن معه معرفة أيّ العنصرين هو الموضوع، و أيهما الحامل، و هو ما يحتم علينا أن نستعين بأحد السياقين؛ المقالي أو المقامي؛ لكي نفهم [١]"

وقد ذهب الدارسون المحدثون إلى أن اختيار المتكلم لتقنية "الاستعارة" بوصفها تقنية حجاجية، يخضع لما يسميه الحجاجيون بقانون النفع أو الجدوى، "ويعني أن اختيار المتكلم لآلية لغوية محددة في التعبير عن فكرته، يدفع مفسر النص إلى سؤال من قبيل: لماذا قال المتكلم ما قال؟ ويكون الجواب بالاعتماد على السياق أو المقام. فلاحظ بيرلمان وتيتيكاه (صاحبا نظرية البلاغة الجديدة) وديكرو وأونسكمبر(صاحبا نظرية الحجاج في اللغة)–أن بين وحدات اللغة تفاوتًا في درجة التعبير حجاجيًا عن فكرة ما بحيث يعتمد التعبير بالعنصر"أ" دور التعبير بالعنصر"ب"، تطبيقًا لقانون الأنفع حجاجيًا . فالسؤال الذي يُطرح هنا عند سماعنا خطابًا ما هو: لماذا ترك المتكلم العنصر"ب" ، وعبر بدلا منه بالعنصر "أ"؟ وما وجه النفع في ذلك؟أي فيم كان العنصر"أ" أو الطريقة "أ" أنفع و أجدى من الطريقة "ب"؟"[٢]

(١) د/عبد الله صولة. في نظرية الحجاج:دراسات و تطبيقات. ص(٦٠-٦١) .
(٢) السابق. ص(٧٨-٧٩) .

وبالتطبيق على آلية "الاستعارة" نسأل: فيم كان التعبير بالمجاز (العنصر" أ") أنفع و أجدى من التعبير بالحقيقة (العنصر"ب")؟ ويكون الجواب بأن اختيار التعبير بالمجاز هو الأنفع حجاجيًا في التعبير عن القصد أو الغرض.

وقد أكد هذا التصور لوقرين Leguern إذ لاحظ أن القوة الحجاجية التي للوحدة المعجمية المستخدمة بطريقة الاستعارة أعظم أثرًا في المتلقي من القوة الحجاجية التي لنفس الوحدة مستخدمة على الحقيقة[١]. ومن هنا كان استخدام الخطاب القرآني لكلمة(الظلمات)مطلقة على الكفر-أشد وقعًا في نفس المتلقي من كلمة (الكفر)، وكذلك استخدام كلمة(النور)مطلقة على الإيمان[٢]، فتدفع هذه الصورة الاستعارية بعقول المخاطبين نحو تأمل التناقض الحاصل بين الحالين؛ حال الكفر الذي يؤدي بصاحبه إلى الدخول في طريق مظلم، لا يبصر فيه ما حوله، مما يعرضه للسقوط أو الهلاك. وحال الإيمان الذي يؤدي بصاحبه إلى الدخول في طريق مضيء، يرى فيه ما حوله بوضوح، فينجو من الهلاك.

ومن هنا يظهرتوظيف الخطاب القرآني "للاستعارة الحجاجية" بوصفها آلية بلاغية ، تسهم في بناء الحجج و دعمها ، في سبيل إقناع المخاطبين من خلال "المجانسة بين المستعار له و المستعار منه؛ لتحقيق مبدأ التأييد في نفس المخاطب[٣]" المُحَاجَج.

---

(١) سميرة المصلوحي. الطاقة الحجاجية للصورة القرآنية. مقال منشور على شبكة الإنترنت. ٢٤ يوليو ٢٠١٩. http://bilarabiya. net2413. html

(٢) د. عبد الله صولة. الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية. . ط دار الفارابي (٢٠٠٧) -بيروت . ص(٥٩٠) .

(٣) د/صفية مكناسي. مقومات الحجاج في الخطاب الاصطلاحي الجزائري-الشيخ محمد البشير الإبراهيمي. مقاربة توصيفية لآليات الإقناع. ط(١) عمان- دار غيداء للنشر. ص(١١١) .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

- **الاستعارة التمثيلية** :

يُراد بها-كما ذكر الخطيب القزويني- " تشبيه إحدى صورتين منتزعتين من أمرين أو أمور بالأخرى، ثم تدخل المشبّهة في جنس المشبّه بها؛ مبالغة في التشبيه، فتذكر بلفظها من غير تغيير بوجه من الوجوه[١]". ويسميها البلاغيون" المجاز المركب"؛ لكونها تقع في التركيب، أو"التمثيل"؛ لكون وجه الشبه فيها منتزعًا من متعدد- أو "التمثيل على سبيل الاستعارة"؛ إذ يُذكر فيها المشبه به، ويُراد المشبه، كما هو شأن الاستعارة[٢].

تبدو الأهمية الحجاجية للاستعارة التمثيلية في كونها تعتمد على آليتين بلاغيتين حجاجيتين، تعملان على توصيل المعنى الحجاجي بطريق غير مباشر – وهما آلية "الاستعارة" بوصفها طريقة من طرائق إثبات المعنى وتأكيده بالادعاء، وآلية "التمثيل" بوصفها آلية إقناعية تأثيرية، توضح المعنى المقصود، وتقرّبه من الأذهان، مما يجذب انتباه المخاطبين المُحَاججين، ويدفعهم نحو بذل الجهد الذهني في سبيل الوصول إلى هذا المعنى الحجاجي الحاصل من التفاعل بين طرفيها. وهذا مما يزيد من حدة الإذعان و التسليم و التصديق في النفوس.

وقد بيّن عبد القاهر الجرجاني قيمة "التمثيل" سواء أكان مجازًا (استعارة تمثيلية)أو حقيقة(تشبيه تمثيلي)، موضحًا أثره في توصيل المعنى المقصود، فقال: "واعلم أن مما اتفق العقلاء عليه أن التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني أو برزت هي باختصار في معرضه، ونقلت عن صورها

---

(١) الخطيب القزويني. الإيضاح . ضمن كتاب شروح التلخيص. ط دار السرور- بيروت(د. ت) . ٤/ ص(١٤٢) .

(٢) السابق. ص(١٤٤- ١٤٦) .

الأصلية إلى صورته، كساها أبهة، وكسبها منقبة، و رفع من أقدارها ، وشب من نارها ، وضاعف قواها في تحريك النفوس لها، و دعا القلوب إليها، و استثار لها من أقاصي الأفئدة صبابة و كلفا. . . فإن كان مدحًا، كان أبهى و أفخم، وأنبل في النفوس و أعظم. . . ، وإن كان ذمًا، كان مسُّه أوجع. . . ، ووقعه أشد. . . ، وإن كان حِجاجًا، كان بُرهانه أنور، وسلطانه أقهر، وبيانه أبهر. . . [١]".

تندرج تقنية "الاستعارة التمثيلية" ضمن الطرائق الحجاجية الاتصالية المؤسسة لبنية الواقع – بحسب رؤية بيريلمان وتيتيكاه – ، ويقصد بها " الطرائق التي تُقرّب بين العناصر المتباينة بدءًا وفي الأصل، وتتيح إقامة ضرب من التضامن بينها؛ لغاية هيكلتها؛ أي إبرازها في هيكل أو بنية واضحة، أو لغاية تقويم أحد هذه العناصر تقويمًا إيجابيًا أو سلبيًا. . . ، وتُعاد بواسطة هذه الطرائق صياغة بعض العناصر الفكرية على غرار الأشكال المُسلّم بها في مجالات أخرى من مجالات الواقع[٢]".

للتمثيل الاستعاري دور مهم في الحجاج؛ بوصفه أداة برهنة واستدلال، تقوم على عقد مواجهة بين بنى متشابهة، و إن كانت من مجالات مختلفة[٣]، ومن هنا تعد هذه الآلية البلاغية حجة إضافية داعمة للمقصد الحجاجي؛ بغرض تقوية توجه الملفوظ التصويري نحو نتيجة محددة. ويمكننا فحص الدور الحجاجي الذي أدته الاستعارة التمثيلية في توظيفها داخل الخطاب القرآني–من خلال تأمل النموذج التالي:

---

(١) عبد القاهر الجرجاني. أسرار البلاغة. قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر. ط مكتبة المدني بالقاهرة. ص(١١٥) .

(٢) د/عبد الله صولة. في نظرية الحجاج: دراسات و تطبيقات. ص(٤١) .

(٣) السابق. ص(٥٦) .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

- يقول عزوجل : {ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ}(سورة الزمر: ٢٩)

وظف الخطاب القرآني آلية "الاستعارة التمثيلية" في هذه الآية الكريمة؛ بغرض تحقيق مقصد حجاجي محدد، يتفق مع المقاصد الحجاجية الكلية للخطاب القرآني، و يتمثل في إبطال الشرك و إثبات الوحدانية لله. فمثّل حال المشرك الذي يعبد آلهة متعددة، فهو في حيرة و شك من رضى بعضهم عنه، وغضب بعض، وفي تردد عبادته إن أرضى بها أحد آلهته، لعله يُغضب بها ضده، فيعيش حائرًا ضائعًا لا يعلم أيهم يعتمد -مثّله بحال رجل مملوك لعدد من الشركاء، وهم مختلفون في رغباتهم ، فهذا يريد منه غير ما يريده الآخر، و الثالث يريد منه غير ما يريد الأول، فيكون مصيره إلى الحيرة و الاضطراب و الشقاء والتعب، إذ لا يمكن له أن يؤدي عملا صالحًا يرضيهم جميعًا[١]. فاستُعير التركيب الدال على الحال المشبّهة في قوله عزوجل: {ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ}-استُعير للحال المشبّه (حال المشرك)على سبيل الاستعارة التمثيلية بجامع الحيرة و التردد و الاضطراب في الحالين.

ومثّل الخطاب حال المؤمن الهادىء المطمئن الذي يعبد الله الإله الواحد الأحد، ينفّذ أوامره و يتجنب نواهيه ، فيحصل على رضاه، و يأمل في حسن جزائه، فيعيش هانئًا مستقر البال- مثّله بحال عبد مملوك لرجل واحد ، ينفذ أوامره فيحصل على رضاه دون تعب أو مشقة، فيعيش مطمئنًا سالمًا من المتاعب. فاستُعير التركيب الدال على الحال المشبّهة في قوله سبحانه{ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ} - استُعير للحال المشبّه(حال المؤمن)على سبيل الاستعارة التمثيلية بجامع الاطمئنان و الاستقرار و راحة البال في الحالين.

(١) محمد الطاهر ابن عاشور. تفسير التحرير و التنوير. ط الدار التونسية . ص(٤٠١-٤٠٢)

تتحقق القيمة الحجاجية الإقناعية لهاتين الصورتين الاستعاريتين التمثيليتين في تعبيرهما عن المعنى الحجاجي الناتج عن التفاعل الحاصل بين الموضوع(الممثّل)حال المشرك و حال المؤمن–والحامل(الممثّل به)حال رجل مملوك لعدد من الشركاء، وحال عبد مملوك لرجل واحد. فمن خلال هذا التفاعل ينتج المعنى الحجاجي المقصود ، وهذا "المعنى الذي نُحصّله من الاستعارة ليس هو المعنى الأصلي المزعوم، و إنما هو معنى جديد نبع من تفاعل كلا الطرفين اللذين يكونا الاستعارة [١] "، ويتمثل هنا في حيرة المشرك، وضلاله في سعيه في الصورة الأولى واطمئنان المؤمن و هدايته في الصورة الثانية.

كما ظهرت الطاقة الحجاجية لتوظيف "الاستعارة التمثيلية" من خلال هاتين الصورتين –في دفع المخاطب نحو تقويم الموضوع "الممثّل" تقويمًا إيجابيًا أو سلبيًا؛ إذ تتحقق القيمة السلبية للممثّل في الصورة الأولى (المشرك الحائر)و تتحقق القيمة الإيجابية للممثّل في الصورة الثانية (المؤمن المطمئن)، وهذا مما يكون له تأثير مباشر في توجيه سلوك المخاطب. وتظهر الطاقة الحجاجية–كذلك–في نقل الأمور العقلية المجردة (الشرك و الإيمان)إلى أمورمرئية محسوسة من عالم المخاطبين و محيطهم (العبد المملوك لعدد من الشركاء و لرجل واحد)؛ مما يسهل حصول الإقناع والتصديق في النفوس.

وقد دعم الخطاب آلية الاستعارة التمثيلية بتوظيف الاستفهام البلاغي المتمثل في قوله عزوجل: { هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا}، إذ خرج عن إفادة معناه الأصلي، ليفيد دلالة "الإنكار" لإمكانية استواء الحالين؛ حال المؤمن المطمئن وحال المشرك الحائر.

---

(١) د. جابر عصفور. الصورة الفنية في التراث النقدي و البلاغي عند العرب. ط(٣) بيروت –المركز الثقافي العربي١٩٩٢. ص(٢٦٦) .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

يتخذ الحجاج من خلال هاتين الصورتين- المسار التالي:

الحجة(المقدمة) ← الدعوى(النتيجة)

حال المشرك الذي يعبد آلهة متعددة كحال رجل يملكه عدد من الشركاء، وحال المؤمن الذي يعبد الله الإله الواحد كحال عبد مملوك لرجل واحد.	ـ حيرة المشرك و ضلاله في سعيه. ـ اطمئنان المؤمن و هدايته.

عدل الخطاب القرآني عن التعبير بالحقيقة، والتعبير بالاستعارة الإفرادية إلى التعبير بالاستعارة التمثيلية؛ بوصفها الأقوى حجاجيًا، إذ تقع في أعلى درجات السُّلم الحجاجي كما يوضحه الشكل التالي:

ن (حيرة المشرك و ضلاله في سعيه، و اطمئنان المؤمن و هدايته)

– الرجل المملوك لعدد من الشركاء حائر ضال، والمملوك لرجل واحد مطمئن مهتد.

– المشرك حائر مضطرب ، والمؤمن مطمئن مهتد. (تعبير حقيقي)

المبحث الأول: حجاج المؤمنين

وُظِفت تقنية "الاستعارة التمثيلية" في مجرى الخطاب الحجاجي التوجيهي للمؤمنين؛ بقصد إقناعهم بما يُطرح عليهم من قضايا، والتأثير في نفوسهم، مما يُحدث تغييرًا في مواقفهم و سلوكهم، فتتحقق غاية الحجاج كما ذكرها بيرلمان و تيتيكاه في قولهما: "إن أنجح الحجاج ما وفِّق في جعل حدّة الإذعان تقوى درجتها لدى السامعين- بشكل يبعثهم على العمل المطلوب (إنجازه أو الإمساك عنه)"[١]. فأورد الخطاب القرآني الصورة الاستعارية التمثيلية في حجاج المؤمنين؛ لإفادة مقاصد حجاجية متعددة، تتفق مع المقاصد الحجاجية الكليّة للخطاب، وتتمثل فيما يلي:

المقصد الحجاجي الأول: الحث على الإنفاق في سبيل الله

وظف الخطاب القرآني آلية "التصوير الاستعاري التمثيلي" في مجرى الخطاب الحجاجي التوجيهي للمؤمنين؛ ليحثهم على الإنفاق و البذل في سبيل الله. فيقول سبحانه و تعالى: { مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ }(سورة الحديد: ١١) مثّل الخطاب هنا "حال المنفق في سبيل الله، المتصدق بماله ابتغاء مرضاة الله-مثّل حاله بحال من يقرض الله، و مثّل حال الحق سبحانه و تعالى في ثوابه، بحال المستلف مع من أحسن قرضه و أحسن في دفعه إليه[٢]".

تبدو القوة الحجاجية لهذه الصورة الاستعارية في امتلاكها لطاقتي الإقناع والتأثير في نفوس المخاطبين؛ إذ تحثهم و تشجعهم على الإنفاق و البذل- من خلال تمثيلها لصورة "المنفق" في سبيل الله في صورة من

---

(١) د/عبد الله صولة. في نظرية الحجاج. دراسات و تطبيقات. ص(١٣) .

(٢) ابن عاشور. تفسير التحرير و التنوير. ٢٧/ ص (٣٧٧) .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

يقرض الله، فتدفع بعقول المخاطبين إلى إدراك مقدار الثواب الجزيل الذي ينتظر هذا المنفق، مما يتوافق مع طبيعة النفس البشرية المحبة للمنفعة، فيكون أكثر جذبًا و إقناعًا لها.

وقد دعّم الخطاب القرآني القوة الحجاجية الإقناعية لهذه الصورة الاستعارية التمثيلية- من خلال توظيف آليتين لغويتين:

-آلية الاستفهام البلاغي المتمثل في قوله عزوجل: { مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ . . . }، إذ خرج عن إفادة دلالته الأصلية؛ ليفيد دلالتي "التحريض" و"الحث" على الإنفاق؛ لنيل الثواب الجزيل.

-آلية "النعت" المتمثلة في وصف القرض في قوله سبحانه: {. . . قَرْضًا حَسَنًا }، و وصف الأجر في قوله عزوجل: { وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ }. وآلية "النعت" من الآليات اللغوية التي تُوظف في الخطاب؛ لأغراض مقامية، وضحها عبد القاهر الجرجاني في قوله: "هل ظننتم أن وراء ذلك علمًا، و أن ههنا صفة تُخَصّص ، وصفة توضح و تبين، و أن فائدة التخصيص غير فائدة التوضيح. . . [(١)]"، فأفاد وصف الحق سبحانه و تعالى للقرض بكونه "حسنًا"-في تخصيصه بصفة القرض الحسن التي وضحها العلماء والمفسرون بأن يكون "مصدره من المال الحلال، و أن يكون ابتغاء مرضاة الله لا رياء، و ألا يتبعه بالمن و الأذى. . . [(٢)]". كما أفاد وصف الأجر بكونه "كريمًا"في تخصيصه بصفة الكريم أي النفيس.

(١) عبد القاهر الجرجاني. دلائل الإعجاز. ط(٣) دار المدني بالقاهرة١٩٩٢. ص(٣١) .
(٢) انظر ابن عاشور. تفسير التحرير و التنوير. ٣٧٧/٢٧.

اتخذ الحجاج- من خلال هذه الصورة- المسار التالي:

الحجة (المقدمة) ← الدعوى(النتيجة)

مثل المنفق في سبيل الله، المتصدق بماله ابتغاء مرضاة الله- كمثل من يقرض الله.	الحث على الإنفاق في سبيل الله؛ لنيل الثواب الجزيل.

عدل الخطاب القرآني عن التعبير بالحقيقة إلى التعبير بالاستعارة التمثيلية؛ بوصفها الأقوى حجاجيًا في التعبير عن القصد أو الغرض؛ فتقع في أعلى درجات السُّلم الحجاجي، كما يوضحه الشكل التالي:

ن (الحث على الإنفاق في سبيل الله)

-{ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا. . . } (تعبير استعاري تمثيلي)

-أنفقوا في سبيل الله، ولكم الثواب الجزيل. (تعبير حقيقي)

-المقصد الحجاجي الثاني: تحذير المؤمنين من إبطال صدقاتهم بالمَنّ والأذى

عبّر الخطاب القرآني عن هذا المقصد الحجاجي من خلال توظيف آلية "الاستعارة التمثيلية"؛ إذ حذر المؤمنين من إبطال صدقاتهم بالمن والأذى، فيقول عزوجل: { أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ} (سورة البقرة: ٢٦٦)-مثّل الخطاب هنا حال المنفقين الذين يُتبِعون صدقاتهم بالمن و الأذى، فيضيع ثوابها، حتى إذا جاء يوم القيامة، أصابتهم الحسرة على ما أنفقوا-مثّل حالهم بحال من كانت له جنة من نخيل وأعناب، فيها

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

من كل الثمرات، وأصابه الكبر، و كانت له ذرية ضعفاء، فأصابتها ريح شديدة، فيها نار أي شديدة الحرارة، فأحرقت أشجارها و ثمارها. فاستُعيرت هيئة المشبه به لهيئة المشبه، وحُذفت هيئة المشبه، وصُرّح بهيئة المشبه به على سبيل الاستعارة التمثيلية- بجامع الخيبة واليأس في وقت تمام الرجاء، وإشراف الإنتاج(١).

تظهر القوة الحجاجية الإقناعية لهذه الصورة الاستعارية التمثيلية في إثارتها لانتباه المخاطبين، ودفعهم نحو تأملها في سبيل إدراك المعنى الحجاجي الحاصل من التفاعل بين طرفيها؛ الموضوع (المُمثّل)حال المنفقين الذين يتبعون صدقاتهم بالمن والأذى؛ فيضيع ثوابها. والحامل(المُمثّل به)حال من كانت له جنة بهذه الأوصاف المذكورة، وأصابه الكبر، وكانت له ذرية ضعفاء-فأصابها إعصار، فيه نار، فأحرقها. فيتحدد هذا المعنى الحجاجي الحاصل من التفاعل بين طرفيها في "التحذير من إتباع الصدقات بالمن والأذى؛ لما يعقبه من انعدام الفائدة(الثواب) عند الاحتياج إليها.

وقد دعّم الخطاب القرآني القوة الحجاجية الإقناعية لهذه الصورة- من خلال ما يلي:

-توظيف "الاستفهام البلاغي" المتمثل في قوله عزوجل: { أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ . . . }، إذ خرج عن إفادة دلالته الأصلية؛ ليفيد دلالتي "الإنكار" و"التحذير". كما أن آلية "الاستفهام" آلية حجاجية؛ إذ تدفع المخاطب إلى تأمل السؤال المطروح، والوصول إلى الإجابة عنه، ومن ثم يتحقق الإقناع. فهذا السؤال المطروح في الآية الكريمة-دفع المخاطب إلى الوصول للإجابة المنطقية التي يُسلّم بها كل ذي عقل، وتتمثل في"انتفاء الرغبة في ضياع العمل والثواب عند الاحتياج إليه".

---

(١) انظر ابن عاشور. التحرير و التنوير. ٣/ص(٥٣-٥٤) .

-تعدد التفاصيل: اتسمت هذه الصورة الاستعارية بتعدد التفاصيل؛ مما أفاد في نقل المعنى الحجاجي، وتوصيله إلى أذهان المخاطبين. فنجدها تبدأ بوصف الجنة بأن الأنهار تجري من تحتها؛ بوصفها(الأنهار)مصدرًا للسقاية-وتبين ما فيها من ثمار، ففيها النخيل و الأعناب، وفيها من كل الثمرات؛ مما يعبر عن منافعها الجمّة. ثم تنتقل إلى وصف حال صاحب الجنة، إذ أصابه الكبر، وله ذرية ضعفاء، تعبيرًا عن شدة احتياجه لمنافع جنته. ثم تنتقل الصورة إلى وصف الإعصار الذي هبّ على الجنة، فأحرقها- فهو إعصار شديد حرارته عالية كالنار، مما يدل على شدة تأثيره. فتنقل هذه التفاصيل المتعلقة بالهيئة المشبّهة بها معنى محددًا إلى أذهان المخاطبين- يتمثل في "حصول الخيبة و الحسرة عند رجاء المنفعة". ثم تنتقل أذهان المخاطبين إلى الربط بين هذه التفاصيل المتعلقة بالهيئة المشبّهة بها المذكورة و التفاصيل المتعلقة بالهيئة المشبّهة المحذوفة، وتتمثل في الذهن في حال المنفق الذي يتبع صدقته بالمن والأذى، ثم يأتي يوم القيامة، فيكون في أشد الاحتياج للثواب، فلا يجده، فيتحقق المعنى الحجاجي المتمثل في "حصول الخيبة و الحسرة عند رجاء المنفعة".

اتخذ الحجاج-من خلال هذه الصورة- المسار التالي:

المقدمة(الحجة) ← الدعوى(النتيجة)

مثل المنفق الذي يتبع صدقته بالمن و الأذى- كمثل من كانت له جنة من أجمل الجنان، وأصابه الكبر، وكانت له ذرية ضعفاء، فأصابها إعصار، فأحرقها.	تحذير المؤمنين من إبطال صدقاتهم بالمن والأذى، فتصيبهم الحسرة عند ضياع ثوابها في وقت احتياجهم إليه.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

عدل الخطاب القرآني عن التعبير بالحقيقة، والتعبير بالاستعارة الإفرادية-إلى التعبير بالاستعارة التمثيلية؛ بوصفها الأقوى حجاجيًا في التعبير عن القصد، إذ تقع في أعلى درجات السُّلم الحجاجي، كما يوضحه الشكل التالي:

ن (تحذير المؤمنين من إبطال صدقاتهم بالمن والأذى)

-{ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ...}(تعبير استعاري تمثيلي)

-لا تتبعوا صدقاتكم بالمن والأذى، فيضيع ثوابها. (تعبير حقيقي)

-المقصد الحجاجي الثالث: تنفير المؤمنين من حالي الشحيح و المُبذّر

وُظِف البناء الاستعاري التمثيلي؛ للتعبير عن هذا المقصد الحجاجي- في سياق الخطاب التوجيهي المتمثل في صيغتي النهي في قوله عزوجل: {وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا} (سورة الإسراء: ٢٩)-يدعوالحق سبحانه و تعالى إلى الاعتدال والتوسط في الإنفاق، والابتعاد عن خصلتي البخل و التبذير.

عبّر الخطاب القرآني عن الحالين؛ حال البخيل و حال المسرف-من خلال التصوير الاستعاري التمثيلي- فصور هيئة البخيل الذي يمسك عن الإنفاق والبذل- بهيئة الأسير الذي غُلّت يده إلى عنقه أي شُدّت بالغُل، وهو القيد المتمثل في" طوق من حديد أو جلد يُجعل في عنق الأسير أوالمجرم أو في أيديهما[١]"،"فإذا غُلّت اليد إلى العنق تعذّر التصرف بها،فتعطل الانتفاع

(١) انظر مجمع اللغة العربية. المعجم الوسيط. مادة (غُلَّ) .

بها، فصار مصدر البذل و العطاء معطلا[١]". وصور هيئة المسرف بهيئة من يبسط يده غاية البسط فلا يبقي على شيء في كفه، ولا يدخر شيئًا ينفعه.

وتظهر الطاقة الإقناعية لهاتين الصورتين الاستعاريتين التمثيليتين في نقلهما للمعنى الذهني المتمثل في صفتي "البخل"و "التبذير"-إلى صورة حسية يراها المخاطبون أمام أعينهم؛ فمثّلت صورة البخيل، وقد وُضِعت يده في القيد، ثم شُدّت إلى عنقه؛ لتعبر عن مدى إصراره على عدم الإنفاق تحت سيطرة حب المال. كما نقلت صورة المسرف، وقد بسط يده غاية البسط؛ لتعبرعن مدى إسرافه في الإنفاق، فلم يحتفظ بشيء من المال في يده.

وقد مثّلت هاتان الصورتان الاستعاريتان قوة داعمة للمقصد الحجاجي المتمثل في"تنفير المؤمنين من حالي "البخيل" و "المبذر"، ليأخذ الحجاج - من خلالهما- المسار التالي:

الحجة(المقدمة) ← الدعوى(النتيجة)

لا تكن بخيلا مُمسكًا عن الإنفاق كمن غلت يده إلى عنقه، ولا تكن مسرفًا كمن يبسط يده غاية البسط.	تنفير المؤمنين من حالي البخيل والمبذر.

وبذلك حققت هاتان الصورتان غاية الحجاج المتمثلة في تقويم السلوك أو تعديله، من خلال الابتعاد عن صفتي "البخل" و"التبذير"، والالتزام بالتوسط والاعتدال في الإنفاق.

كما أسهمت هاتان الصورتان في تدعيم المقاصد الحجاجية القرآنية المتمثلة في توجيه المخاطبين نحو الاقتصاد والتوسط في الإنفاق والبذل، والابتعاد عن الإسراف و التبذير، إذ يقول سبحانه: {وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ

(١) ابن عاشور. تفسير التحرير و التنوير. ١٥/ ص(٨٥) .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا (٢٦) إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا}(سورة الإسراء: ٢٦، ٢٧).

-المقصد الحجاجي الرابع: توجيه المؤمنين نحو الإحسان إلى الوالدين

عبّر الخطاب القرآني عن هذا المقصد الحجاجي في سياق الخطاب التوجيهي للمؤمنين بالإحسان إلى الوالدين، فيقول سبحانه وتعالى: { وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا (٢٣) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا}(سورة الإسراء: ٢٤، ٢٣)-مثّل الخطاب من خلال صيغة الأمر التوجيهي المتمثلة في قوله عزوجل: { وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ}- مثّل حال الابن حين يتواضع لوالديه؛ رحمة بهما، وإشفاقًا عليهما عند بلوغهما سن الكِبر- مثّل حاله في ذلك بحال الطائر حين يخفض جناحه إذا اعتراه خوف من طائر أقوى منه، فيخفض جناحه متذللا، أو حين يتهيأ لضم فراخه؛ قصد الرعاية والعناية والتربية، أو حين يترك الارتفاع والطيران، ويقصد الوقوع أو الهبوط ، فيخفض جناحه يريد الدنو والانحطاط[١]. فاستعار الخطاب التركيب (خفض الجناح) الدال على الحال المشبّهة بها لحال المشبّه(تواضع الابن لوالديه، والتذلل لهما)، وحُذف المشبه على سبيل الاستعارة التمثيلية. وقد شاعت هذه التمثيلية حتى صارت كالمثل للتواضع واللين في المعاملة، وضد ذلك (رفع الجناح) تمثيل للتكبر والجفاء والشدة[٢].

(١) ابن عاشور. تفسير التحرير و التنوير. ١٥/ ص(٧٠- ٧١) .
(٢) السابق. ١٤/ ص(٨٣) .

تتضح القوة الحجاجية الإقناعية لهذه الصورة الاستعارية في تمثيلها للمعنى الذهني (التواضع و التذلل للأبوين) في مشهد حسي مرئي أمام أعين المخاطبين المُحاجَجين (خفض جناح الطائر)، مما أسهم في توضيح المعنى الحجاجي المقصود، وتقريبه من الأذهان. وقد بيّن عبد القاهر الجرجاني القيمة الإقناعية التأثيرية لنقل المعنى المدرك بالعقل إلى صورة حسية ملموسة؛ إذ يقول: " ومعلوم أن العلم الأول أتى النفس من طريق الحواس و الطباع، ثم من جهة النظر و الرَّوِيَّة، فهو إذن أمس بها رحمًا، وأقوى لديها ذِممًا، وأقدم لها صحبة، و؟آكد عندها حرمة، فإذ نقلتها عن المدرك بالعقل المحض وبالفكرة في القلب–إلى ما يدرك بالحواس أويُعلم بالطبع وعلى حد الضرورة، فأنت كمن يتوسل إليها للغريب بالحميم، وللجديد الصحبة بالحبيب القديم[١]".

كما يظهر البعد الحجاجي الإقناعي لهذه الصورة في قوة حضور المعنى الحجاجي(التواضع و اللين في المعاملة) في هيئة الحامل(الممثّل به)، إذ يعبر مشهد خفض الطائر لجناحه عن أقصى درجات التواضع، والتذلل، والرفق، واللين حين يصيبه خوف من طائر أقوى منه، أو يريد ضم فراخه إليه قصد الحنو والرعاية. وهذا مما يدفع بالمخاطبين إلى إدراك الموضوع(الممثّل)بصورة ذهنية أقوى وأوضح، إذ يصل التواضع و التذلل للأبوين إلى أقصى درجات الإذعان و الخضوع.

اتخذ الحجاج - من خلال هذه الصورة - المسار التالي :

الحجة(المقدمة) ← الدعوى(النتيجة)

حال الابن حين يتواضع لوالديه كحال الطائر حين يخفض جناحه.	**توجيه المؤمنين نحو الإحسان إلى الوالدين بالتواضع والتذلل لهما.**

(١) عبد القاهر الجرجاني. أسرار البلاغة. ص(١٢٢) .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

-المقصد الحجاجي الخامس: إرشاد المؤمنين إلى اتباع أمر الله و رسوله

عبّر الخطاب القرآني عن هذا المقصد الحجاجي المتمثل في إرشاد المؤمنين إلى اتباع أمر الله ورسوله- من خلال "التصوير الاستعاري التمثيلي"، إذ يقول سبحانه: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}[١] (سورة الحجرات: ١) يُقال جلس بين يدي فلان؛ أي جلس بين الجهتين المقابلتين ليمينه وشماله، قريبًا منه (أمامه). فإذا تقدّم بين يديه كان خارجًا عن صفة المُتَابع له[٢]. فمثّل الخطاب في قوله عزوجل: { لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ} حال من أصدر حكمًا دون الاستناد إلى أمر الله ورسوله، أو أبرم فعلا دون إذن من الله و رسوله – مثّل حاله بحال من تقدّم بين يدي متبوعه إذا سار في طريق[٣]، بجامع الانفراد عنه في الحالين.

---

(١) ذكر السيوطي في سبب نزول هذه الآية: أخرج البخاري وغيره من طريق ابن جريج بن أبي مليكة أن عبد الله بن الزبير أخبره أنه قدم ركب من بني تميم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال أبو بكر: أمّر القعقاع بن معبد ، وقال عمر:بل امّر الأقرع بن حابس ، فقال أبو بكر:ما أردت إلا خلافي، وقال عمر: ما أردت خلافك ، فتماريا ، حتى ارتفعت أصواتهما. وهناك روايات أخرى في سبب نزولها. انظر السيوطي. لباب النقول في أسباب النزول. مؤسسة الكتب الثقافية . بيروت. ص(٢٣٨) .

(٢) عبد القاهر الجرجاني. أسرار البلاغة. ص(٣٥٧) . والزمخشري. تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. ط(٣) دار المعرفة- بيروت. . ص(١٠٣١) .

(٣) ابن عاشور. تفسير التحرير و التنوير. ٢٦/ص(٢١٦) .

تتحقق الطاقة الحجاجية الإقناعية لهذه الصورة الاستعارية التمثيلية في قدرتها على استحضار صورة المُمثَّل (الموضوع)أمام أعين المخاطبين، إذ مثّلت حاله (من قطع أمرًا أو أبرم فعلا دون إذن من الله و رسوله)- مثّلته بحال من تقدّم بين يدي متبوعه، مما دفع بالمخاطبين إلى استهجان صورته (المُمثّل)و استقباحها . ووسيلة "الاستحضار" وسيلة حجاجية، تنبع أهميتها من كونها تؤثر في وجدان المخاطبين تأثيرًا مباشرًا[1]ومن ثم تسهم في تحقيق الإقناع والتسليم و التصديق في النفوس.

مثّلت هذه الصورة الاستعارية قوة داعمة للدعوى المطروحة، فاتخذ الحجاج – من خلالها- المسار التالي:

المقدمة(الحجة) ← الدعوى(النتيجة)

يطيع المؤمنون أمر الله و رسوله.	لا يقدم المؤمن على إصدار حكم أو إبرام فعل دون إذن من الله ورسوله

وقد دعّم الخطاب القرآني هذه الصورة الاستعارية المعبرة عن الدعوى(النتيجة)-من خلال افتتاح الآية الكريمة بنداء المخاطبين المُحَاجَجين، مما أسهم في لفت انتباههم، ودفعهم نحو ترقب ما يُطلب منهم. ووصفهم بقوله: { الَّذِينَ آَمَنُوا } يؤكد ضرورة امتثالهم واستجابتهم للدعوى المطروحة، ذلك أن المؤمن يطيع أمر الله ورسوله و لا يخالفه.

عدل الخطاب القرآني عن التعبير بالحقيقة، والتعبير بالاستعارة الإفرادية إلى التعبير بالاستعارة التمثيلية؛ بوصفها الأقوى حجاجيًا في التعبير عن القصد؛ إذ تقع في أعلى درجات السُّلم الحجاجي- كما يوضحه الشكل التالي:

---

(١) عبد الله صولة. في نظرية الحجاج. دراسات و تطبيقات. ص(٣١) .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ن (إرشاد المؤمنين إلى اتباع أمر الله ورسوله)

-{ لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ} (تعبير استعاري تمثيلي)

-أطيعوا الله ورسوله، ولا تصدروا حكمًا دون إذن منهما.(تعبير حقيقي)

- المقصد الحجاجي السادس: التحذير من عداوة إبليس للبشر، وإصراره على إغوائهم

وظف الخطاب القرآني "الاستعارة التمثيلية"؛ بغرض التحذير من عداوة إبليس للبشر، وإصراره على إغوائهم، بتزيين المعاصي و المفاسد لهم، إذ يقول جلّ شأنه: { قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ }(سورة الأعراف: ١٦-١٧)، تأتي هاتان الآيتان الكريمتان في سياق الحديث عن امتناع إبليس عن الاستجابة للأمر الإلهي بالسجود لآدم عليه السلام، وما كان من غضب الله عليه، الأمر الذي دفعه إلى أن يطلب من الله إمهاله إلى يوم القيامة حتى يغوي البشر، فيفسد عليهم إيمانهم كما فسد إيمانه .

أورد الخطاب في هاتين الآيتين الكريمتين- صورتين استعاريتين تمثيليتين؛ فمثّل في الآية الأولى، إذ يقول سبحانه{ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ }، مثّل حال الشيطان في تعرضه للبشر بصدّهم عن الوصول إلى طريق الله(الصراط المستقيم) الطريق الموصل إلى الجنة ؛ فيمنعهم من فعل الخير، والامتثال لأوامر الله-مثّل حاله في ذلك بحال قاطع الطريق الذي يصدّ الساعين فيه، و يمنعهم من الوصول إلى مقصدهم

أو غايتهم. ومثّل في الآية الثانية في قوله عزوجل{ ثُمَّ لَـآتِيَنَّهُمْ مِـنْ بَـيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَـاكِرِينَ}- مثّل حال الشيطان في حرصه على إغواء البشر، وإضلالهم عن الحق بشتى الوسائل و الطرق الممكنة-بحال العدو الذي يحرص علـى أن يـأتي مـن يعاديه من كل الجهات التي تمكنه من الوصول إليه.

تظهر القوة الحجاجية الإقناعية في هاتين الصورتين التمثيليتين-فـي دفعهما للمخاطب نحو إعمال ذهنه و فكره؛ لتحديد أطرافها ، ثـم اسـتنتاج "المعنى الحجاجي" الحاصل من التفاعل بينهم، و يتمثل في إظهـار عـداوة إبليس للبشرمن خلال حرصه على ترصدهم بالقعود لهم فـي كـل طريـق، والتعدي عليهم بشتى وسائل الإغواء و الإضلال الممكنة.

وقد دعّم الخطاب القرآني القوة الحجاجية لهاتين الصورتين- من خلال توظيف أداتين من أدوات التأكيد البلاغي، وهما: أسلوب القسـم، و نـون التوكيد في قوله عزوجل: { فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَه. . }، وقولـه: { ثُـمَّ لَآتِيَنَّهُمْ }. مما أسهم في تأكيد المعنى الحجاجي المتعلـق بإظهـار إصـرار إبليس على إغواء البشرو إضلالهم.

مثّلت هاتان الصورتان قوة داعمة للحجة المبينـة لحـرص إبلـيس، وإصراره على إغواء البشر. ومن ثم يحصل الإقناع و التصديق في نفـوس المخاطبين. **فيأخذ الحجاج- من خلالهما- المسار التالي**:

الحجة(المقدمة) ← الدعوى(النتيجة)

يحـرص إبلـيس علـى إغـواء البشـر، فيترصد بهم في كل طريق، ويتعدى عليهم بشتى الطرق و الوسائل.	**إبليس عدو للبشر، فاحذروه.**

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وتبدو الطاقة الإقناعية للتصوير الاستعاري التمثيلي، بوصفه الأقوى حجاجيًا ، إذ يقع في أعلى درجات السُّلم الحجاجي، كما يتضح من خلال الشكلين التاليين:

ن (إبليس عدو للبشر، فاحذروه)

- إبليس قاطع طريق، يصد الساعين فيه عن الوصول إلى مقصدهم. (تعبيرتمثيلي)
- يمنع إبليس البشرعن فعل الخير. (تعبير حقيقي)

ن (إبليس عدو للبشر، فاحذروه)

- إبليس عدو يحرص على أن يأتي من يعاديه من كل الجهات. (تعبيرتمثيلي)
- يغوي إبليس البشر بكل وسائل الإغواء الممكنة. (تعبير حقيقي).

كما وظف الخطاب القرآني البناء الاستعاري التمثيلي؛ لإفادة المقصد نفسه–في الكشف عن عداوة إبليس للبشر، ورغبته في إغوائهم، والسيطرة عليهم بتوجيههم نحو طريق المعاصي، فيقول عزوجل: { وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا }(سورة الإسراء: ٦١–٦٢)، فأورد الخطاب الصورة الاستعارية التمثيلية في جملة جواب القسم المحذوف الواردة على لسان إبليس{ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا} ، ليمثّل حاله في قوة إغوائه للبشر، وسيطرته عليهم بتوجيههم نحو ارتكاب المعاصي و الآثام– مثّله بحال احتناك الراكب لفرسه حين يضع اللجام في حنكه؛ ليسيّره وفق ما يريد. أو مثّله بحال احتناك الجراد الأرض أي أكله ما

عليها[١]. ثم استُعير التركيب الدال على الحال المشبّهة للحال المشبه على سبيل الاستعارة التمثيلية.

وتظهر الفعالية الحجاجية لهذه الصورة التمثيلية في توجيهها للخطاب نحو نتيجة محددة تتمثل في إظهار عداوة إبليس للبشر، و رغبته في السيطرة عليهم بإغوائهم.

وقد دعّم الخطاب القوة الحجاجية لهذه الصورة التمثيلية-من خلال توظيف آلية"التأكيد البلاغي" المتمثلة في أسلوب القسم، ونون التوكيد في قوله عزوجل: { لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ}، فأفادت في تأكيد المعنى الحجاجي المتعلق بإظهار عداوة إبليس للبشر.

اتخذ الحجاج-من خلال هذه الصورة المسار التالي:

الحجة(المقدمة) ← الدعوى(النتيجة)

يُقسم إبليس بأن يحتنك ذرية آدم.	**إبليس عدو للبشر، فاحذروه.**

(١) حنك الفرس واحتنكه :جعل في فيه الرسن. احتنكه :استولى عليه. احتنك الجراد الأرض:أكل ما عليها. احتنك فلانًا :أخذ ماله. انظرالفيروز آبادي. القاموس المحيط. فصل الحاء باب الكاف(حنك) ٣/ ص(٣٠٩- ٣١٠) . ط(٢) مكتبة مصطفى البابي الحلبي. مصر١٩٥٢.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

المبحث الثاني: حجاج الكافرين:

وُظِفت آلية "البناء الاستعاري التمثيلي" في مجرى حجاج الكافرين، أمثال: المشركين، والمنافقين، والمرتدين، وإبليس؛ بغرض تحقيق عنصري "الإقناع" و"التأثير" في نفوسهم ، بإحداث تغيير في معتقداتهم وأفكارهم من خلال تأكيد الحجج و تقويتها عن طريق توظيف هذا النوع من التصوير القائم على التمثيل ، إذ يوضح الفكرة المقصودة، و يقربها من إدراك المخاطبين حين ينقلها من الإطار العقلي المجرد إلي الإطار الحسي المشاهد؛ ذلك أن أنس النفوس-كما قال عبد القاهر الجرجاني- "موقوف على أن تخرجها من خفي إلى جلي. . . ، و أن تردّها في الشيء تُعلِّمها إياه إلى شيء آخر هي بشأنه أعلم، و ثقتها به في المعرفة أحكم، نحو أن تنقلها عن العقل إلى الإحساس، و عما يُعلم بالفكر إلى ما يُعلم بالاضطرار والطبع؛ لأن العلم المستفاد من طرق الحواس أو المركوز فيها من جهة الطبع و على حد الضرورة، يفضل المستفاد من جهة النظر و الفكر في القوة و الاستحكام، وبلوغ الثقة فيه غاية التمام، . . . ومعلوم أن العلم الأول أتى النفس من طريق الحواس والطباع، ثم من جهة النظر و الرويّة، فهو إذن أمس بها رحما، و أقوى لديها ذممًا، و أقدم لها صحبة. . . [(١)]".

ويظهر البعد الحجاجي للتصوير الاستعاري التمثيلي-وفق ما ذكره الدارسون المحدثون-في وجود "محل شاغر[(٢)]" أو "عنصر غائب" داخل بنيته، مما يدفع المخاطب إلى إعمال ذهنه و فكره في سبيل الوصول إليه،

---

(١) عبد القاهر الجرجاني. أسرار البلاغة. ص(١٢١) .

(٢) انظر د. عبد الله صولة. الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية. ص(٥٤٥ و ما بعدها) .

انطلاقًا من العنصر الحاضرأو المذكور. ويمثل المحل الشاغر في بنية الصورة الاستعارية التمثيلية- الموضوع(المستعار له)وهو الأمرغير المسلّم به لدى المخاطب(موضع الخلاف)، و يمثل العنصر الحاضر، الحامل(المستعار منه)وهو الأمر المسلّم به لدى المخاطب(موضع الاتفاق)، فينتقل الذهن من هذا الأمر المسلّم بصحته إلى الأمر غير المسلّم به، ومن ثم يحصل الإقناع و الإذعان والتسليم.

أورد الخطاب القرآني الصورة الاستعارية التمثيلية في حجاج الكافرين؛ لإفادة مقاصد حجاجية متعددة، تتفق مع المقاصد الحجاجية الكلية للخطاب القرآني، وتتمثل فيما يلي:

-المقصد الحجاجي الأول: إبطال عبادة الأصنام

عمد الخطاب القرآني إلى توظيف التصوير الاستعاري التمثيلي ؛ بغرض تحقيق المقصد الحجاجي المتمثل في إبطال عبادة الأصنام التي لا تنفع و لا تضر، و تعجز عن أداء أي عمل، فلا يمكن لعاقل أن يتخذها إلها من دون الله، فيقول عزوجل: { ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}(النحل: ٧٥-٧٦).

مثّل الخطاب -في هاتين الآيتين الكريمتين- حال المشركين في إشراكهم بالله الأصنام بحال من سوّى بين عبدٍ مملوكٍ لا يقدرعلى التصرف، و لا يملك مالا- و بين سيّده الغني المالك أمر نفسه، ينفق مما رزقه الله سرًّا و جهرًا كيف شاء. وصوّر حالهم في الأمر نفسه، إذ شبّهوا الله

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

بالأصنام، فعبدوها من دونه–صوّر حالهم في ذلك بحال من سوّى بين رجلين، أحدهما أبكم، لا يقدر على شيء، و لا يدبرأمر نفسه، فهو عالة على مولاه أو كافله ، لا يأتي له بخير–و الآخررجل حكيم عالم، ينصح الناس، و يأمرهم بالعدل، و يسير على الصراط المستقيم(١).

استُعير التركيب الدال على الحال المشبّهة للحال المشبّه، وحُذف المشبه على سبيل الاستعارة التمثيلية، بجامع "المساواة بين النقيضين"في الحالين؛ حال المشبه(المشركون في إشراكهم بالله الأصنام)؛ إذ سوّوا بين الله عزوجل، الإله الواحد الغني، المنعم، المتصرف في شؤون عباده– و الأصنام الجامدة العاجزة عن كل عمل. وحال المشبه به(من سوّى بين عبد مملوك و سيده، وبين رجل أبكم و آخرحكيم عالم).

وقد دعّم الخطاب القرآني هذه الصورة التمثيلية من خلال توظيف "آلية الاستفهام البلاغي"في قوله عزوجل{ هَلْ يَسْتَوُونَ}، { هَلْ يَسْتَوِي}، إذ أفادت هاتان الجملتان الاستفهاميتان دلالة"الإنكار" للمماثلة أو المساواة بين هذين الحالين المتناقضين.

كما حقّق الملفوظ التمثيلي –في هاتين الآيتين الكريمتين–استدلالا عقليًا منطقيًا، فاستدل المخاطبون بالحال المشبهة(حال العبد المملوك الذي لا يقدر على التصرف و لا يملك مالا، و حال الأبكم الذي لا يقدر على شيء، و لا يدبر أمر نفسه)على الحال المشبه(حال الأصنام الجامدة العاجزة عن الإنفاق أو التصرف، التي تحتاج إلى من يحرسها و يزيل عنها الغبار و الأوساخ). وهذا مما يسهم في تحقيق الإقناع و التصديق في النفوس.

---

(١) انظر ابن عاشور. التحرير و التنوير. ١٤/ ص(٢٢٣) ، و الزمخشري. الكشاف. ص(٥٧٩) .

ومن هنا تظهر القيمة الحجاجية للتصوير التمثيلي، إذ عدّه بيرلمان وتيتيكاه من "الحجج القائمة على الوصل الذي يربط بين أحكام مسلّم بها، وأحكام يسعى الخطاب إلى تأسيسها وجعلها مقبولة و مسلّمًا بها، وذلك مما يجعل الأحكام المسلّم بها والأحكام غير المسلّم بها عناصرتنتمي إلى كلّ واحد يجمع بينها بحيث لا يمكن التسليم بأحدها دون أن يسلّم بالآخر(١)" فالأحكام المسلّم بها في هذه الصورة التمثيلية هي(حال العبد المملوك و حال الأبكم العاجزان عن الإنفاق أو التصرف)، و الأحكام التي يسعى الخطاب إلى تأسيسها هي(حال الأصنام العاجزة عن كل عمل و حال الحق سبحانه وتعالى- الإله الغني القادر على التصرف في شئون عباده) .

كما تظهر الطاقة الإقناعية لهذه الصورة التمثيلية في أن مادتها مستعارة من "عالم الخطاب"، و يقصد به " مجمل كفاءات المتلقين المعرفية و النفسية و الثقافية و العقدية(٢)"، ففئة "العبيد" معروفة عند العرب، ووصف العبد بأنه مملوك في قوله تعالى{ عَبْدًا مَمْلُوكًا}-يدل كما هو معلوم لدى العرب- أنه لا يملك مالا، و لا يقدر على التصرف في شيء دون الرجوع إلى أمر سيّده. وكذلك حال الأبكم مما هو معروف لكل إنسان، فهو لا يقدر على شيء، و لا يدبر أمر نفسه. "وحينما تكون عناصر الصورة مأخوذة من محيط المخاطبين و عالمهم، الأمر الذي يجعلهم على بينة منها، وعلم بها، واطلاع عليها، فتكون بذلك مخاطبة القرآن لهم بواسطتها قوية الإقناع، نافذة الحجاج(٣)".

---

(١) د. عبد الله صولة. في نظرية الحجاج . دراسات و تطبيقات . ص(٨١-٨٢) .
(٢) د. عبد الله صولة. الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية. ص(٤٩٦) .
(٣) السابق. ص(٥٢٤) .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

يأخذ الحجاج -من خلال هذه الصورة- المسار التالي:

الحجة(المقدمة) ← الدعوى(النتيجة)

تعجز الأصنام عن رزقهم أو التصرف في أمورهم كحال العبد المملوك أو الأبكم	**إبطال عبادة الأصنام العاجزة، و إثبات العبادة لله عزوجل ، الإله القادر المتصرف في شؤون عباده.**

تبدو القوة الحجاجية للتعبير الاستعاري التمثيلي، لتقع في أعلى درجات السُّلم الحجاجي، كما يوضحها الشكل التالي:

ن : (الاستدلال على بطلان عبادة الأصنام من دون الله)

- مثل المشركين في عبادتهم للأصنام، مثل من سوّى بين عبد مملوك وسيده.
- يعبد المشركون الأصنام العاجزة من دون الله.

وقد مثّل هذا البناء الاستعاري التمثيلي قوة داعمة للحجاجية الكلية للخطاب القرآني–وتتمثل في إيراد الأدلة على تفرد الله تعالى بالألوهية و الوحدانية، وإبطال عقيدة الشرك. فيقول سبحانه: { مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ }(سورة المؤمنون:٩١)، ويقول عزوجل: { قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا}(سورة الإسراء: ٤٢).

-المقصد الحجاجي الثاني: بيان حال المشركين

عمد الخطاب القرآني إلى توظيف تقنية "الاستعارة التمثيلية"؛ بغرض الكشف عن حال المشركين عند تلقيهم لدعوة الإسلام، إذ يقول عزوجل:{إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ}[١](سورة يس:٨-٩)، فصوّرت هاتان الآيتان الكريمتان حال المشركين في استكبارهم وإعراضهم عن قبول دعوة الحق، و تأمل البراهين الكونية الدالة على وجود الله الواحد الأحد.

اشتملت هاتان الآيتان الكريمتان على صورتين استعاريتين تمثيليتين، يمكن تحليلهما حجاجيا من خلال ما يلي:

-الصورة الأولى: تتكون من طرفين مركبين، أحدهما مصرّح به (الحامل)والآخر غير مصرّح به(الموضوع)، وهو ما يمثل المحل الشاغرفي الصورة.

-الطرف الأول: الموضوع(المستعار له)غير مصرّح به.

هيئة المشركين في استكبارهم، وإعراضهم عن الدعوة، و منع أنفسهم عن تأمل البراهين والحجج الدالة على وحدانية الله.

-الطرف الثاني: الحامل(المستعار منه)مصرّح به.

هيئة قوم قُيّدت أعناقهم بالأغلال، وقُيّدت معها أيديهم، فارتفعت رؤوسهم إلى أعلى.

---

(١) أقمح: رفع رأسه وغضّ بصره وبأنفه شمخ. وقمح البعير: رفع رأسه عند الحوض وامتنع عن الشرب. القاموس المحيط. فصل القاف، باب الحاء(القمح) ١/ ص(٢٥٢) .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

-حجاجية الصورة: تتضح القيمة الحجاجية لهذه الصورة الاستعارية التمثيلية من خلال دفع المخاطبين إلى إعمال عقولهم للوصول إلى معرفة الطرف الأول غير المصرّح به، وربطه بالطرف الثاني المصرّح به، ليحدث "الاندماج" أو" التفاعل" بين طرفيها (الموضوع و الحامل)، فيحصل الإقناع في نفوس المخاطبين بالوصول إلى المعنى الناتج عن هذا التفاعل، ويتحدد في استكبار المشركين عن الاعتراف بالحق، وامتناعهم عن الاستجابة للدعوة كحال من قُيّدوا بالأغلال، فارتفعت رؤوسهم إلى أعلى، فلا يتمكنون من أداء فعل صحيح. فنقلت الصورة هيئة استكبار المشركين عن الاعتراف بالحق، وامتناعهم عن الاستجابة للدعوة- إلى هيئة حسية يسهل إدراكها، و من ثم الاقتناع بها.

-الصورة الثانية: تتكون من طرفين مركبين، أحدهما مصرّح به(الحامل)، و الآخر غير مصرّح به(الموضوع).

-الطرف الأول: الموضوع(المستعار له) غير مصرّح به

هيئة المشركين في إعراضهم عن إبصار الأدلة التى تثبت وحدانية الله.

-الطرف الثاني: الحامل(المستعار منه)مصرّح به

هيئة من جُعلوا بين سدين، سد من أمامهم، و سد من خلفهم، فهم محاصرون معزولون عما حولهم.

-حجاجية الصورة: تتضح القيمة الحجاجية لهذه الصورة الاستعارية التمثيلية من خلال إدراك التفاعل بين طرفيها (الموضوع و الحامل)، فيحصل الإقناع بالوصول إلى المعنى الناتج عن هذا التفاعل ، ويتمثل في أن

المشركين حجبوا أعينهم عن إبصار الأدلة و الحجج كما حُجبت أعين المحاصرين بالسدود عن رؤية ما حولهم.

وقد مثّلت هاتان الصورتان التمثيليتان قوة داعمة للحجة المبينة لاستكبار المشركين، و إعراضهم عن الدعوة، وامتناعهم عن تأمل البراهين الكونية من حولهم.

اتخذ الحجاج- من خلال هاتين الصورتين-المسار التالي:

الحجة(المقدمة) ← الدعوى(النتيجة)

حال المشركين عند تلقيهم للدعوة الإسلامية كحال من قُيّدوا بالأغلال، وأحاطت بهم السدود.	**قيّد المشركون أنفسهم عن الاستجابة للإيمان وحجبوا أعينهم عن إبصار الحق.**

-المقصد الحجاجي الثالث: تصوير عظمة القدرة الإلهية:

يتجه الخطاب القرآني نحو تصوير عظمة القدرة الإلهية، ردًّا على الكافرين المعاندين المنكرين لقدرة الله- من خلال توظيف الاستعارة التمثيلية المبينة لعظمة القدرة الإلهية في خلق السماوات والأرض وتكوينهما؛ إذ يقول عزوجل: { ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ} (فصلت:١١)، فمثّل الخطاب "هيئة تعلق قدرة الله تعالى بتكوين السماء و الأرض-لعظمة خلقهما- بهيئة صدور الأمر من آمر مطاع للعبد المأذون بالحضور لعمل شاق، كأن يقول له: ائت لهذا العمل طوعًا أو كرهًا، لتوقع إبائه من الإقدام على ذلك العمل. ومثّل-كذلك- هيئة تكوّن السماء و الأرض عند تعلق قدرة الله تعالى بتكوينهما {قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ}-مثّلها بهيئة المأمور بعمل تقبّله سريعا عن طواعية[1] "، فاستُعير

(١) ابن عاشور. التحرير و التنوير. ٢٤/ ص(٢٤٧- ٢٤٨) .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

التركيب الدال على المشبه به للحال المشبه على سبيل التمثيل، دون مراعاة مشابهة بين أجزاء الهيئة المركبة المشبّهة، وأجزاء الهيئة المشبّه بها.

أفاد توظيف البناء الاستعاري التمثيلي في هذه الآية الكريمة- في تدعيم الدعوى المطروحة، و تقويتها من خلال دفع المخاطبين نحو إعمال النظر و التفكير في قدرة الله في خلق السماوات و الأرض؛ لاكتشاف عظمته التي تثبت أنه الإله الواحد القادر، المُنزّه عن أي شريك.

وتتضح القوة الحجاجية لهذه الصورة الاستعارية في تعبيرها عن مشهد خلق السماوات و الأرض بأسلوب تمثيلي حواري، إذ تستجيب المخلوقات(السماوات و الأرض) منقادة لأمر خالقها (الحق سبحانه و تعالى)، مما يدعو المخاطبين -وهم من المخلوقات- إلى الاستجابة لخالقهم بالطاعة و العبادة كما فعلت السماوات و الأرض.

وقد اتخذ الحجاج من خلال هذه الصورة- المسار التالي:

الحجة (المقدمة)	← الدعوى(النتيجة)
قدرة الله في خلق السماوات والأرض	تصوير عظمة القدرة الإلهية، مما يثبت انفراده -سبحانه- بالألوهية والعبادة.

كما وظف الخطاب القرآني آلية "البناء التمثيلي" ؛ لإفادة المقصد نفسه-في تصوير عظمة القدرة الإلهية في مشهد من مشاهد يوم القيامة؛ إذ يقول جلّ شأنه: { وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ}(الزمر: ٦٧)، فتوضح هذه الآية الكريمة أن الكافرين لم يعطوا الله ما يستحقه من التعظيم، حينما أشركوا معه غيره في العبادة، فلم يفردوه بالألوهية والربوبية. فهوالإله الواحد الخالق لهذا الكون، المتصرف في جميع شؤونه.

إذ تتجلى عظمته و قدرته في مشهد من مشاهد يوم القيامة، فتكون الأرض بحدودها و عددها في قبضته، أي تحت أمره، و في ملكه و تصرفه. و كذلك السماوت يطويها–سبحانه– بيمينه.

عبر الخطاب عن هذا المقصد الحجاجي من خلال التصوير الاستعاري التمثيلي، فمثّل "الأرض في تصرفها تحت أمرالله و قدرته، و أنه لا يشذ شيء مما فيها عن سلطانه عزوجل، مَثَل الشيء يكون في قبضة الآخذ له منّا و الجامع يده عليه، وكذلك في قوله {وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ}مثّل أنه عزوجل يخلق فيها صفة الطي حتى تُرى كالكتاب المطوي بيمين الواحد منا {يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ}، وخصّ اليمين لتكون أعلى و أفخم للمثل(١)"

وقد أفاد توظيف البناء التمثيلي في هذه الآية الكريمة في إظهار قدرة الله، وعظيم سلطانه؛ إذ تكون الأرض و السماوات يوم القيامة تحت أمره، وفي ملكه و تصرفه، يتحكم فيها وفق إرادته ومشيئته، مثل الشيء حين يكون في قبضة الواحد منّا، فيتصرف به كيف يشاء و يفعل به ما يريد، دون أن يمتنع عليه. فانتقل المعنى–من خلال التمثيل– من الإطار العقلي المجرد المتعلق بقدرة الله، وقوة تصرفه في الكون– إلى الإطار الحسي المشاهد في صورة المثل. مما أسهم في زيادة حدّة الإذعان و التصديق في نفوس المخاطبين.

وقد مثّلت هذه الصورة الاستعارية التمثيلية قوة داعمة للحجّة المبينة لقدرة الله و عظيم سلطانه، فهو خالق الكون المدبّر لجميع شؤؤنه، المالك للتصرف فيه، مما يثبت استحقاقه–سبحانه–للألوهية و العبادة.

---

(١) عبد القاهر الجرجاني. أسرار البلاغة. ص(٣٥٩) .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

اتخذ الحجاج-من خلال هذه الصورة- المسار التالي

الحجّة(المقدمة) ← الدعوى(النتيجة)

الحجّة(المقدمة)	الدعوى(النتيجة)
الأرض بحدودها وعددها في قبضته - سبحانه- يوم القيامة، والسماوات يطويها بيمينه.	تصوير عظمة القدرة الإلهية، مما يثبت استحقاقه - سبحانه - للألوهية و العبادة.

-المقصد الحجاجي الرابع: الاستهزاء بالكافرين، وإظهار عجزهم

وظف الخطاب القرآني البناء الاستعاري التمثيلي؛ بغرض الاستهزاء بالكافرين، وإظهار عجزهم عن القضاء على الإسلام، فالله ناصر دينه على الرغم من أنوفهم، إذ يقول سبحانه{ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ}(سورة الصف: ٨)، فتصور الآية الكريمة حال الكافرين في محاولتهم إبطال الإسلام، و القضاء عليه، بتكذيبهم للنبي صلى الله عليه وسلم، وقولهم في القرآن إنه سحر- تصور حالهم في ذلك بحال من ينفخ في النور بفيه، فلا يفلح في إطفائه وقيل ينفخ في نور الشمس بفيه ليطفئه[١] . فاستعير التركيب الدال على الحال المشبّهة للحال المشبّه، بجامع تحقق الفشل و العجز في الحالين، حال الكافرين في محاولتهم إبطال الإسلام، و القضاء عليه، وحال من يحاول أن يطفىء النور بفيه فلا يفلح أو أن يطفىء نور الشمس.

وقد عبّر بقوله: { بِأَفْوَاهِهِمْ } عن الحالين، حال الإطفاء، إذ يكون عادة بالأفواه، وحال الكافرين في محاولتهم إبطال الإسلام بما قالوه عن القرآن و الرسول.

---

(١) الزمخشري. تفسير الكشاف. ص(١١٠٣) .

تسترعي هذه الصورة انتباه المخاطب؛ ليربط بين طرفيها البعيدين، إذ ينتمي كل واحد منهما إلى مجال مختلف، فالموضوع(المستعار له) مجاله العقل، و يتمثل في حال الكافرين في محاولتهم إبطال الإسلام. والحامل (المستعار منه) مجاله الحس، ويتمثل في حال من يحاول إطفاء النور بفيه. وهذا مما يدفع المخاطب إلى تأمل الصورة، و إعمال ذهنه في سبيل الوصول إلى الرابط بين طرفيها ، ومن ثم يحصل الاقتناع بالمعنى الحجاجي المقصود، ويتمثل في إظهار عجز الكافرين عن القضاء على الإسلام كما يعجز من يحاول أن يطفىء نور الشمس.

وقد دعّم الخطاب القرآني القوة الحجاجية لهذه الصورة الاستعارية من خلال ما يلي:

-توظيف التركيب الخبري البلاغي المتمثل في قوله عزوجل{ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ}، وقد خرج عن إفادة دلالته الخبرية الأصلية؛ ليعبرعن توجه إرادتهم نحو إبطال الإسلام، و القضاء عليه.

-توظيف صيغة الفعل المضارع(يريدون)، إذ أفادت في استحضار الحدث، و تأكيد استمراريته و تجدده، فهم مستمرون في عدائهم للإسلام، ومحاولة القضاء عليه.

-توظيف الاستعارة التصريحية المتمثلة في قوله عزوجل{ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ }، فاستعار النور للدين ثم حذف المشبه، و صرح بالمشبه به. وقد أسهم توظيفها في تأكيد النتيجة المتضمنة في الصورة الاستعارية التمثيلية، وهي إثبات نصرة الله لدينه، وعجز الكافرين عن إبطاله أو القضاء عليه.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وقد اتخذ الحجاج من خلال هذه الصورة- المسار التالي:

الحجة(المقدمة) ← الدعوى(النتيجة)

حال الكافرين في محاولتهم إبطال الإسلام كحال من ينفخ في نور الشمس ليطفئه	الاستهزاء بهم و إظهار عجزهم عن القضاء على الإسلام.

تظهر الطاقة الإقناعية لهذا التعبير الاستعاري التمثيلي؛ إذ يقع في أعلى درجات السُّلم الحجاجي، كما يوضحه الشكل التالي:

ن(الاستهزاء بهم، وإظهارعجزهم عن القضاء على الإسلام)

حالهم كحال من ينفخ في نور الشمس بفيه ليطفئه.

لن تُفلح محاولات الكافرين في إبطال الإسلام أو القضاء عليه.

- **حجاج إبليس**

عمد الخطاب القرآني إلى توظيف آلية "البناء الاستعاري التمثيلي" في حجاج إبليس؛ بغرض تهديده بما سيناله من عقاب هو و من يتبعه، و إظهار عجزه عن إغواء عباد الله المؤمنين المخلصين، فلن يكون له سلطان عليهم، إذ يقول سبحانه:{ وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا} (سورة الإسراء: ٦٤-٦٥)، فمثّل حال الشيطان، و حال متبعيه من ذرية آدم في إغوائه لهم بجميع وسائل الفتنة و الوسوسة- مثّله بحال من يغزو قومًا بجيش عظيم من فرسان ورجّالة[١].

(١) انظر ابن عاشور. التحرير و التنوير. ١٥/ص(١٥٤) . م

وقد دعّم الخطاب القرآني القوة الحجاجية الإقناعية لهذه الصورة التمثيلية–من خلال توظيف أسلوب "الأمر البلاغي" المتمثل في قوله عزوجل: { اسْتَفْزِزْ}و{ أَجْلِبْ}، إذ خرج عن إفادة دلالته الأصلية المتمثلة في طلب حصول الفعل على سبيل الإلزام– ليفيد دلالتي "التهديد" و"التعجيز". دلالة "التهديد" الموجهة إلى إبليس، بأن يفعل كل ما يستطيعه من وسائل الفتنة والوسوسة؛ لإغواء البشرو إضلالهم، وسيلقى العقاب الذي يستحقه هو ومن يتبعه. ودلالة "التعجيز"، إذ إن قوته في التسلط على البشر ستعجز عن إغواء الصالحين من عباد الله { إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا}.

كما أسهمت هذه الصورة الاستعارية في تدعيم المقاصد الحجاجية القرآنية المتمثلة في "التحذير من اتباع طريق الشيطان، و الاستجابة لوسوسته؛ إذ أوحت بأنه في معركة دائمة مع البشر، يحاربهم بوسوسته، ويحرضهم على الشر بجميع وسائل الفتنة و الإضلال الممكنة. فيقول سبحانه: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ}(سورة البقرة: ٢٠٨).

وقد اتخذ الحجاج -من خلال هذه الصورة- المسار التالي:

الحجة(المقدمة) ← الدعوى(النتيجة)

توجيه الأمر إلى إبليس-بأن يستعمل جميع وسائل تزيين المعاصي، وطرق إغواء البشر نحو الشر.	تهديد إبليس بما سيناله من عقاب هو و من يتبعه، و إظهار عجزه عن إغواء عباد الله المؤمنين.

كما جاء اختيار الخطاب القرآني لهذا البناء الاستعاري التمثيلي؛ لما يمتلكه من قوة إقناعية مؤثرة، إذ يقع في أعلى درجات السُّلم الحجاجي، الذي يوضحه الشكل التالي:

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ن(تهديد إبليس، وإظهار عجزه عن إغواء عباد الله المؤمنين)

{ وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ}

افعل كل ما تستطيعه لإغواء البشر. (تعبير حقيقي)

- **حجاج المنافقين**

أورد الخطاب القرآني آلية"الاستعارة التمثيلية"في حجاج المنافقين؛ بغرض تحقيق مقصدين حجاجيّين:

-المقصد الحجاجي الأول: بيان حال المنافقين

وظف الخطاب القرآني آلية "التصوير الاستعاري التمثيلي"؛ بغرض بيان حال المنافقين، والكشف عما لحق بهم من خسارة؛ بسبب اختيارهم طريق الكفر والضلالة، وتركهم لطريق الإيمان و الهداية. فيقول سبحانه: {أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ}(سورة البقرة:١٦)-عمد الخطاب هنا إلى ترشيح استعارة اشترائهم للضلالة بالهدى-وتقويتها من خلال توظيف الاستعارة التمثيلية؛ إذ يقول عزوجل مؤكدًا خسارتهم بصيغة النفي: { فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ}، فمثّل حال المنافقين إذ قصدوا من النفاق غاية، فأخفقت مساعيهم، وضاعت مقاصدهم. . . أي أنهم أضاعوا ما سعوا له، فلم يعرفوا ما يوصل لخير الآخرة ، ولا ما يضر المسلمين، فأضاعوا كل شيء، ووقعوا في الخسران- مثّل حالهم في ذلك بحال التجار الذين اشتروا بضاعة فاسدة، فلم يحصلوا من تجارتهم على أي ربح. والربح هو ما يحصل عليه التاجر من زيادة على رأس ماله، فهم أضاعوا الربح وو أضاعوا رأس المال؛ إذ لم

يهتدوا إلى طريق التجارة المؤدي إلى الربح[١]، كما لم يهتد المنافقون إلى طريق الإيمان و الرشاد المؤدي إلى الفوز بمرضاة الله و نعيم الآخرة. فاستُعير التركيب الدال على الحال المشبّهة(حال التجار) في قوله عزوجل: { فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ}-للحال المشبّه (حال المنافقين)على سبيل الاستعارة التمثيلية بجامع إضاعة كل شيء و الخسران في الحالين.

وقد أسهم توظيف التصوير الاستعاري التمثيلي في هذه الآية الكريمة- في تدعيم الدعوى المطروحة، وتقوية حضورها في أذهان المخاطبين المُحاجَجين. فبعد أن أثبت الخطاب "الحجة" على المنافقين في صدر الآية؛ إذ بيّن أنهم استبدلوا الكفر بالإيمان، عرض الدعوى أو النتيجة التي ترتبت على هذه الحجة في صورة تمثيلية محسوسة، فمثّل خسارة المنافقين حين استبدلوا الكفر بالإيمان -وهو أمرعقلي-بخسارة التجار الذين اشتروا بضاعة فاسدة؛ فلم يحصلوا على أي ربح من تجارتهم، وهوأمر حسي منتزع من عالم المخاطبين و محيطهم(مجال التجارة) ؛ إذ إن عملية البيع والشراء وما يصاحبها من أمور التجارة – كانت معروفة و سائدة عند العرب ، فهي قريبة من إدراكهم، مما يسهل حصول الإقناع، ويجعل الصورة أشد تأثيرًا في نفوسهم، و بالتالي تكون الطاقة الحجاجية للصورة لا تكمن في مجرد تأكيد المعاني المستعار لها، و إنما تكمن في جعل هذه المعاني مما لا يجادل فيه متلقو القرآن [٢].

---

(١) انظر ابن عاشور. تفسير التحرير و التنوير. ١/ ص(٣٠٠-٣٠١) . و الزمخشري. الكشاف. ص(٥٠) .

(٢) انظرد/عبد الله صولة. الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية. و سميرة المصلوحي. الطاقة الحجاجية للصورة القرآنية. مقال منشور على شبكة الإنترنت. ٢٤ يوليو ٢٠١٩. http://bilarabiya. net2413. html

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وبذلك جاء توظيف "البناء التمثيلي" في هذه الآية الكريمة- مفيدًا في تقوية توجه الملفوظ نحو نتيجة محددة، تتمثل في "خسارة المنافقين لدينهم"حين استحبوا الكفر على الإيمان، و استبدلوه به. فاتخذ الحجاج- من خلال هذه الصورة- المسار التالي:

الحجة (المقدمة) ← الدعوى(النتيجة)

استبدل المنافقون الكفر بالإيمان .	خسر المنافقون دينهم كالتجار الذين خسروا تجارتهم ،فلم يحصلوا منها على أي ربح.

وقد جاء اختيار الخطاب القرآني للتعبير بالاستعارة التمثيلية؛ بوصفها الأقوى حجاجيًا، إذ مثّلت المعنى الحجاجي في صورة محسوسة مرئية أمام أعين المخاطبين، فوقعت في أعلى درجات السُّلم الحجاجي الموصل إلى الإقناع، كما يوضحه الشكل التالي:

ن(خسارة المنافقين لدينهم)

-خسر المنافقون دينهم كالتجار الذين خسروا تجارتهم، فلم يحصلوا منها على ربح.

-لم يهتد المنافقون إلى طريق الإيمان و الرشاد. (تعبير حقيقي)

-المقصد الحجاجي الثاني: الكشف عن جزاء المنافقين المقابل لصنيعهم

تبرز "الصورة الاستعارية التمثيلية" في سياق حجاج المنافقين؛ بوصفها وسيلة بلاغية حجاجية تهدف إلى تحقيق عنصر"الإقناع"، فتكشف عن مجازاة الله لهم بمثل صنيعهم، إذ يقول سبحانه: { إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ

النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا}(سورة النساء:١٤٢)، فمثّل الخطاب القرآني مجازاة الله للمنافقين باستدراجهم، و إمهالهم في الدنيا، حتى يطمأنوا، و يظنوا أن حقيقة مكرهم و خداعهم لم تنكشف لله وللمؤمنين- مع توعدهم بالعذاب الشديد في الآخرة{ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا}(سورة النساء:١٤٥)-مثّل ذلك بفعل المُخادع حين يجازي من حاول خداعه بمثل صنيعه، فاستُعير الخداع لاستدراج الله إياهم[١].

ويندرج هذا النوع من التصوير الاستعاري التمثيلي تحت ما يسميه بيرلمان وتيتيكاه "الحجج القائمة على العلاقة التبادلية أو العكسية" وعلى قاعدة العدل، " وتتمثل هذه الحجج في معالجة وضعيتين إحداهما بسبيل من الأخرى-معالجة واحدة، وهو ما يعني أن تينك الوضعيتين متماثلتان، وإن بطريقة غير مباشرة ، وتماثلهما ضروري لتطبيق قاعدة العدل، وقاعدة العدل هي تلك القاعدة التي تقتضي معاملة واحدة لكائنات أو وضعيات داخلة في مقولة واحدة[٢]"، فإذا كان المنافقون قد خدعوا المؤمنين، فأظهروا لهم الإيمان، وأبطنوا الكفر، فإن قاعدة العدل تقتضي أن يجازيهم الله بمثل صنيعهم؛ إذ يستدرجهم، ويمهلهم في الدنيا حتى ينالوا جزاءهم في الآخرة.

وقد دعم الخطاب القرآني هذه الصورة الاستعارية التمثيلية- من خلال توظيف آلية "المُشاكلة" ويراد بها "أن يُذكر الشيء بلفظ غيره؛ لوقوعه في صحبته[٣]"فعبر- سبحانه- عن المجازاة المتمثلة في الاستدراج والإمهال

(١) انظر ابن عاشور. التحرير و التنوير. ٥/ ص(٢٣٩) بتصرف.
(٢) د/عبد الله صولة. في نظرية الحجاج. دراسات و تطبيقات. ص(٤٥) .
(٣) انظر السكاكي. مفتاح العلوم. ط(٢) دار الكتب العلمية- بيروت ١٩٨٧. الخطيب القزويني. الإيضاح ضمن شروح التلخيص. . ٤/ص(١٨) .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

مع التوعد بالعذاب في الآخرة- بلفظ "الخداع"في قوله: { وَهُوَ خَادِعُهُمْ}على سبيل المشاكلة؛ لوقوع الجزاء في صحبة الحديث عن خداعهم للمؤمنين المتبعين لله ولرسوله.

كما دعّم الخطاب هذه الصورة الاستعارية المعبرة عن "الدعوى"- من خلال توظيف آلية "التفصيل بعد الإجمال"، فبعد أن عرض الحق سبحانه للحجة في صدر الآية بصورة مجملة في قوله: { إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ}، فصّل بعض صور الخداع، بأن عبّر عن كسلهم عند قيامهم للصلاة التي يراءون بها الناس، و لا يبتغون بها مرضاة الله و ثوابه. وبيّن أنهم لا يذكرون الله إلا وقت حضورهم مع المؤمنين؛ ليخدعوهم ويظهروا لهم أنهم مسلمون، وهم في حقيقة الأمر ليسوا كذلك.

تظهر الطاقة الحجاجية الإقناعية لهذه الصورة في توجيهها للخطاب نحو نتيجة محددة تتمثل في الكشف عن جزاء المنافقين الذين ظنّوا بجهلهم – أن الله لا يعلم ما يخفونه في ضمائرهم.

اتخذ الحجاج-من خلال هذه الصورة- المسار التالي:

الحجة(المقدمة) ← الدعوى(النتيجة)

خدع المنافقون المؤمنين بأن أظهروا لهم الإيمان،و أبطنوا الكفر.	سيجازي الله المنافقين بمثل صنيعهم،إذ يتركهم في الدنيا دون عقاب،ثم يعذبهم في الآخرة.

- **حجاج المرتدّين**

أدّت "الاستعارة التمثيلية" وظيفة حجاجية إقناعية في حجاج المرتدّين الذين ارتدوا عن الإسلام إلى الكفر؛ إذ كشفت عن حالهم، وسوء عاقبتهم. فمثّلت حالهم في صورتين؛ صورة المنقلب أي الراجع إلى ما كان وراءه، بجامع التردد في الأمر و الشك فيه في الحالين ، وصورة من يمشي على

حرف جبل أو واد، فهو متهييء للنزول عنه إلى أسفله، فيسقط على وجهه، بجامع القلق و الاضطراب و التردد في الحالين.

تظهر الصورة الاستعارية التمثيلية الأولى في مثل قوله عزوجل: { وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ. . . }(سورة البقرة: ١٤٣)، فوظف الخطاب هذه الصورة في سياق بيان الحكمة من تشريع توجيه القبلة إلى بيت المقدس ثم التحول عنها إلى استقبال الكعبة، وذلك"ليظهر من كان صادق الإيمان في الحالين؛ حال تشريع استقبال بيت المقدس، وحال تحويل الاستقبال إلى الكعبة[١]"، فمثّل حال من يرتد عن الإسلام، راجعًا إلى الكفر السابق عند تحويل القبلة –بحال المنقلب أي الراجع إلى ما كان وراءه، بجامع الشك و التردد في الحالين. و"قوله(على عقبيه)زيادة تأكيد في الرجوع إلى ما كان وراءه، لأن العقبين هما خلف الساقين؛ أي انقلب على طريق عقبيه[٢]. "

تبدو الطاقة الحجاجية لهذه الصورة الاستعارية في تمثيلها لهيئة المرتد عن الإسلام إلى الكفر(هيئة عقلية)بهيئة الراجع إلى ما كان وراءه (هيئة حسية)؛ مما أفاد في نقل الصورة، و تجسيدها أمام أعين المخاطبين. ومن خلال التفاعل والاندماج بين طرفي الصورة يتحقق الإقناع، ويتأكد المعنى الحجاجي المتمثل في حالة التذبذب الإيماني للمرتد؛ ذلك أن الارتداد عن الإسلام، والرجوع إلى الكفر يعبر عن حالة عدم الثبات الإيماني، تمامًا مثل الشخص الذي يرجع عن الطريق الذي سار فيه إلى ما كان وراءه، نتيجة تردده، وشكه في صحة هذا الطريق الذي سار فيه في بدء الأمر.

---

(١) ابن عاشور. التحرير و التنوير. ٢/ ص(٢٢) .

(٢) السابق. ٢/ص(٢٣-٢٤) .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وقد دعّم الخطاب هذه الصورة الاستعارية التمثيلية من خلال توظيف "آلية التأكيد البلاغي"المتمثلة في القصر بالنفي و الاستثناء؛ مما أفاد في تقوية الحجة وتأكيدها، إذ جعل توجيه القبلة ثم تحويلها بمثابة اختبار للمسلمين يكشف عن درجة اليقين الإيماني في نفوسهم، فيظهر" المتّبع" للرسول بعد تحويل القبلة؛ انقيادًا للتوجيه الإلهي و" المنقلب"عنه الذي يرتد عن الإسلام، عائدًا إلى الكفر.

اتخذ الحجاج -من خلال هذه الصورة- المسار التالي:

الحجة(المقدمة) ← الدعوى(النتيجة)

حال المرتد عن الإسلام كحال المنقلب على عقبيه.	إذن هو متزعزع الإيمان.

ويحدث الانتقال الذهني من الحجة إلى الدعوى أو النتيجة–وفق قانون تولمين (قانون العبور[١])؛ بسبب أن الراجع عن الطريق إلى ما كان وراءه؛ دليل على تردده في الأمر وشكّه فيه.

وقد جاء عدول الخطاب القرآني عن التعبير بالحقيقة أو بالاستعارة الإفرادية إلى التعبير بالاستعارة التمثيلية؛ بوصفها الأقوى حجاجيًا في بيان حال المرتدين، كما يتضح –من خلال السُّلم الحجاجي التالي:

---

(١) انظر نموذج ستيفن أدلسون تولمين الحجاجي في كتابه(استعمالات الحجة) The uses of argument– ويُقصد بقانون العبور وفق ما ذكره تولمين–"الإطار الذهني الذي يكون موجودًا في ذهن المتخاطبين من داخل ثقافة واحدة". انظر د/عبد الله صولة. في نظرية الحجاج:دراسات و نظريات. ص(٩٣) . والحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية. ص(٢٢–٢٦) .

- ن (المرتد متزعزع الإيمان)

-انقلب على عقبيه. (تعبير استعاري تمثيلي)

-ارتد إلى الظلمات بعد النور. (تعبير استعاري إفرادي)

-ارتد إلى الكفر بعد الإسلام. (تعبير حقيقي)

أما الصورة الاستعارية التمثيلية الثانية التي وصف فيها الخطاب القرآني- المرتدين، فتتضح في قوله سبحانه: { وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآَخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ}(سورة الحج: ١١)، فمُثّل حال المرتد في هذه الآية الكريمة-إذ كان دخوله إلى الإسلام عن غير اقتناع به، أو اطمئنان إليه. فهو في حالة قلق و اضطراب دائم، إذا أصابه خير سكن و اطمأن، و إذا أصابه شر ارتد عن الإسلام ، عائدًا إلى الكفر- مُثّل حاله في ذلك "بحال من يمشي على حرف جبل أو وادٍ، فهو متهييء لأن يزل عنه إلى أسفله، فينقلب أي ينكب على وجهه[١]"-أو مُثّل "بحال من يكون على طرف من العسكر(الجيش)فإن أحس بظفر وغنيمة قرّ و اطمأن، وإلا فرّ و طار على وجهه"[٢]، فاستُعير التركيب الدال على الحال المُشبّهة(حال الماشي على حرف جبل ، أو من يكون على طرف من الجيش. . .)-للحال المُشبّه (حال المرتد) على سبيل الاستعارة التمثيلية، بجامع القلق و الاضطراب و التردد في الحالين.

---

(١) ابن عاشور. تفسير التحرير و التنوير. ١٧/ ص(٢١٢) .

(٢) الزمخشري. تفسير الكشاف. ص(٦٩١) حرف الشيء طرفه وشفيره وحده، ومن الجبل أعلاه المحدد. ومن الناس من يعبد الله على حرف أي على وجه واحد، وهو أن يعبده على السراء لا على الضراء، أو على شك أو على غير طمأنينة على أمره أي لا يدخل في الدين متمكنًا. انظر القاموس المحيط. فصل الحاء باب الفاء(حرف) ٣/ص(١٣٠- ١٣١) .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

تبدو الفعاليّة الحجاجية لهذه الصورة في قدرتها على جذب انتباه المخاطبين، ودفعهم نحو استنتاج المعنى الحاصل من التفاعل بين طرفيها؛ الموضوع(المُمثّل)وهوحال المرتد أو ضعيف الإيمان-و الحامل(المُمثّل به)وهو حال من يمشي على حرف جبل، فيشعر بالقلق و الاضطراب أو من يكون على طرف من الجيش، ينتظر الغنيمة ليطمئن أو الهزيمة ليفرّ و يبتعد. فينتج المعنى الحجاجي عن التفاعل بين هذين الطرفين، ويتحدد فيما يتصف به المرتد من قلق و اضطراب و تردد ينبيء عن ضعف إيمانه.

وقد عرض الخطاب النتيجة التي ترتبت على هذه الحجة في صورة تمثيلية، إذ يقول عزوجل: { خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ}، فصور حال المرتد في عدم انتفاعه بالدنيا؛ بسبب ما أصابه فيها من الفتنة، وعدم انتفاعه بثواب الآخرة؛ بسبب ارتداده عن الدين-صوره بحال التاجر الذي أضاع رأس ماله، فأصابه الخسران(١).

كما دعم الخطاب هذه الصورة التمثيلية من خلال توظيف آلية"التأكيد البلاغي" المتمثلة في أسلوب القصر بتعريف المسند (الخسران)، فأكد اختصاص المرتدين بالخسران المبين، و انحصاره فيهم.

وقد اتخذ الحجاج-من خلال هاتين الصورتين- المسارين التاليين:

الحجة(المقدمة)	← الدعوى(النتيجة)
حال المرتد كحال من يمشي على حرف جبل،أو يكون على طرف من الجيش،ينتظر الغنيمة، أوالهزيمة.	**المرتد متزعزع الإيمان.**

(١) انظرتفسير التحرير و التنوير. ١٧/ص(٢١٤) .

الحجة(المقدمة) ← الدعوى(النتيجة)

حال المرتد كحال التاجر الذي أضاع رأس ماله، فأصابه الخسران.	خسر المرتد الدنيا؛بسبب ما أصابه فيها من القلق والاضطراب. وخسر ثواب الآخرة.

عدل الخطاب القرآني عن التعبير بالحقيقة، أو بالاستعارة الإفرادية- إلى التعبير بالاستعارة التمثيلية؛ بوصفها الأقوى حجاجيًا، إذ تقع في أعلى درجات السُّلم الحجاجي، كما يوضحه الشكلان التاليان:

ن (المرتد متزعزع الإيمان)

-حال المرتد كحال من يمشي على حرف جبل، أو يكون على طرف من الجيش.

-المرتد قلق مضطرب، لا يطمئن إلى الدين. (تعبير حقيقي)

ن (خسر المرتد الدنيا و الآخرة)

-حال المرتد كحال التاجر الذي أضاع رأس ماله، فخسر تجارته. (استعارة تمثيلية)

-لم ينتفع المرتد بدنياه، وأضاع ثواب آخرته. (تعبير حقيقي)

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

نتائج البحث:

-أدت الصورة الاستعارية التمثيلية وظيفة حجاجية إقناعية من خلال توظيفها في مجرى الخطاب الحجاجي القرآني.

-رصد البحث أكثر من سبعين استعارة تمثيلية في الخطاب القرآني، وُظِفت في حجاج جميع الفئات المستهدفة من الخطاب؛ حجاج المؤمنين، وحجاج الكافرين، ويشمل: حجاج المشركين، وحجاج إبليس، وحجاج المنافقين، وحجاج المرتدين. وهذا مما أفاد في تدعيم المقاصد الحجاجية الكلية للخطاب.

-تعددت المقاصد الحجاجية التي أفادتها "الاستعارة التمثيلية" في الخطاب القرآني-في حجاجي المؤمنين والمشركين - بصورة أكبر من حجاج بقية الفئات(حجاج إبليس، حجاج المنافقين ، حجاج المرتدين)، وهذا مما يتفق مع المقاصد الرئيسة للخطاب القرآني، إذ يسعى في خطابه للمؤمنين نحو تثبيتهم على الإيمان، وتوجيههم إلى الالتزام بتعاليم الدين؛ للفوز بمرضاة الله ونعيم الجنة. وفي خطابه للمشركين، يسلك طريقي الترغيب والترهيب مع إيراد الأدلة و البراهين العقلية و الكونية و الفطرية المؤيدة لصحة ما يدعو إليه الإسلام. ولذلك تعددت المقاصد الحجاجية في خطابي المؤمنين والمشركين. أما بقية الفئات فقد اقتصر حجاجهم على وصف حالهم مع إنذارهم بسوء العاقبة.

-وُظِفت آلية البناء الاستعاري التمثيلي في حجاج المؤمنين؛ بغرض التعبير عن المقاصد الحجاجية التالية:

-الحث على الإنفاق في سبيل الله.

-تحذير المؤمنين من إبطال صدقاتهم بالمن و الأذى.

-تنفير المؤمنين من حالي؛ الشحيح و المبذّر.

-توجيه المؤمنين نحو الإحسان إلى الوالدين.

-إرشاد المؤمنين إلى اتباع أمر الله ورسوله.

-التحذير من عداوة إبليس.

-أورد الخطاب القرآني تقنية "الاستعارة التمثيلية" في مجرى حجاج الكافرين؛ لإفادة المقاصد الحجاجية الآتية:

-إبطال عبادة الأصنام.

-بيان حال المشركين.

-تصوير عظمة القدرة الإلهية.

-الاستهزاء بالكافرين، وإظهار عجزهم.

-وُظِفت آلية الاستعارة التمثيلية في حجاج إبليس؛ بغرض التعبير عن المقصدين الحجاجيين التاليين:

-تهديده بما سيناله من عقاب، هو ومن يتبعه.

-إظهار عجزه عن إغواء عباد الله المؤمنين.

-عبّرت الاستعارة التمثيلية في حجاج المنافقين عن مقصدين حجاجيين؛

-بيان حال المنافقين.

- الكشف عن جزاء المنافقين المقابل لصنيعهم.

-كشفت الصورة الاستعارية التمثيلية في حجاج المرتدين عن المقصد الحجاجي التالي:

-بيان حالهم، وسوء عاقبتهم.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

-دعم الخطاب القرآني القوة الحجاجية الإقناعية للصورة الاستعارية التمثيلية من خلال توظيف عدد من الآليات اللغوية والبلاغية المتمثلة في: آلية النعت، وآلية الاستفهام البلاغي، وآلية التأكيد بالقسم، ونون التوكيد، و القصر. وآليتي الأمر والنداء البلاغيتين، وآلية التفصيل بعد الإجمال، وخروج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر.

التوصيات:

- أُوصِي الباحثين بدراسة حجاجية الصورة في مختلف ألوان الخطابات؛ الدينية، والأدبية، و السياسية-بوصفها آلية حجاجية تسهم في تحقيق عنصري "الإقناع"و"التاثير"في نفوس المخاطبين.

-تطبيق نظريات الحجاج اللغوي، والبلاغي، والمنطقي على مختلف ألوان الخطابات؛ بغرض الكشف عن أبعادها الحجاجية.

مراجع البحث:

-أبو بكر العزاوي. (د). الترجمة و الحجاج. الترجمة و الحجاج. مقال منشور ضمن كتاب(الحجاج بين النظرية و التطبيق). ط(١) عالم الكتب الحديث- إربد(الأردن)٢٠٢٠.

-أبو بكر العزاوي. (د). اللغة و الحجاج. ط(١) العمدة- الدار البيضاء ٢٠٠٦.

-جابر عصفور. (د). الصورة الفنية في التراث النقدي و البلاغي عند العرب. ط(٣) بيروت -المركز الثقافي العربي١٩٩٢.

-الخطيب القزويني. الإيضاح في علوم البلاغة. ضمن كتاب(شروح التلخيص). ط دار السرور- بيروت. (د. ت).

-الزمخشري. تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. ط(٣)دار المعرفة- بيروت.

-الزمخشري. أساس البلاغة. تحقيق محمد باسل عيون السود. ط(١) دار الكتب العلمية. بيروت١٩٩٨ .

-سامية الدريدي. (د). الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة، بنيته و أساليبه. ط(١)عالم الكتب الحديث- الأردن ٢٠٠٨.

-السكاكي. مفتاح العلوم. ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور. ط(٢)١٩٨٧ دار الكتب العلمية – بيروت.

-السيوطي. لباب النقول في أسباب النزول. ط مؤسسة الكتب الثقافية . بيروت(د. ت).

-صفية مكناسي. مقومات الحجاج في الخطاب الاصطلاحي الجزائري-الشيخ محمد البشير الإبراهيمي. مقاربة توصيفية لآليات الإقناع. ط(١)عمان- دار غيداء للنشر.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

-صلاح فضل. (د). بلاغة الخطاب وعلم النص. سلسلة عالم المعرفة- تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون و الآداب بالكويت. أغسطس ١٩٩٢.

-طه عبد الرحمن. (د). اللسان و الميزان. أو التكوثر العقلي. ط (١) ١٩٨٨ -المركز الثقافي العربي- الدار البيضاء .

-عبد السلام عشير. (د). عندما نتواصل نغير- مقاربة تداولية لآليات التواصل و الحجاج. ط دار إفريقيا الشرق- الدار البيضاء- المغرب. ٢٠٠٦.

-عبد القاهر الجرجاني. أسرار البلاغة. قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر. ط (١)مكتبة المدني بالقاهرة ١٩٩١.

-عبد القاهر الجرجاني. دلائل الإعجاز. قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر. ط مكتبة المدني بالقاهرة ١٩٩٢.

-عبد الله صولة. (د). الحجاج أطره و منطلقاته و تقنياته من خلال(مصنف في الحجاج: البلاغة الجديدة) لبريلمان و تيتيكاه. ضمن كتاب (أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم)إشراف حمادي صمود. منشورات كلية الآداب بتونس. (د. ت).

-عبد الله صولة. (د). الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية. ط(٢) دار الفارابي – بيروت- ٢٠٠٧.

-عبد الله صولة. (د). في نظرية الحجاج: دراسات و تطبيقات. ط(١) الشركة التونسية للنشر٢٠١١ .

-علي بن عبد العزيز الجرجاني. التعريفات. ط(١) دار الكتب العلمية. بيروت. ١٩٨٣.

-الفيروز آبادي. القاموس المحيط. ط(٢) الحلبي ١٩٥٢.

-كمال الزماني. (د). حجاجية الصورة في الخطابة السياسية لدى الإمام علي . ط (١)إربد- الأردن- عالم الكتب الحديث للنشر٢٠١٢.

-مثنى كاظم صادق. (د). أسلوبية الحجاج التداولي و البلاغي . ط(١)٢٠١٥، دار كلمة للنشر- تونس.
-محمد الطاهر بن عاشور. تفسير التحريروالتنوير. ط ١٩٨٤. الدار التونسية للنشر و التوزيع.
-محمد العبد. (د). النص الحجاجي العربي. دراسة في وسائل الإقناع. مقال منشور بمجلة فصول، العدد (٦٠)- القاهرة ٢٠٠٢.
-ابن منظور. لسان العرب. ط دار صادر. بيروت.
-هاني يوسف أبو غليون. الحجاج في النص القرآني. سور الحواميم نموذجًا. رسالة ماجستير- جامعة مؤتة- الأردن ٢٠١٨ص(١٠٤).
- انظريوسف أبو العدوس.(د). التشبيه والاستعارة، منظور مستأنف. ط(١) ٢٠٠٧ دار المسيرة للنشر و التوزيع. عمّان- الأردن.

-المراجع الأجنبية:

-Perelman and L. Olbrechts tyteca : the New rhetoric ”Treatise Argumentation” Trans by Wilkinson and Purcell weaver university of Noter dame Press 1971 .
-Perelman . The Idea of justice and the problem of argument- Routledge and Kegan paal ,New York , published 1963 .

-المواقع الإلكترونية:

سميرة المصلوحي. الطاقة الحجاجية للصورة القرآنية. مقال منشور على شبكة الإنترنت. ٢٤ يوليو ٢٠١٩

-http: //bilarabiya. net2413. html.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

فهرس الموضوعات

م	الموضـوع	الصفحة
١.	ملخص البحث	١٣٠٣١
٢.	Abstract	١٣٠٣٢
٣.	المقدمة	١٣٠٣٣
٤.	-مدخل:	١٣٠٣٩
٥.	- الاستعارة التمثيلية :	١٣٠٤٦
٦.	المبحث الأول: حجاج المؤمنين	١٣٠٥١
٧.	المبحث الثاني: حجاج الكافرين:	١٣٠٦٦
٨.	نتائج البحث:	١٣٠٩٠
٩.	مراجع البحث:	١٣٠٩٣
١٠.	فهرس الموضوعات	١٣٠٩٦